روايات عبير
آن ويل
تعالي الى الأدغال
www.mlazna.com
مرمورية
١٠

روايات عبير

تعالي الى الأدغال

اعتادت اندريا على التجوال في مختلف انحاء العالم مع شقيقها، ولم تثر فكرة مصاحبتها له في رحلة الى أدغال الملايو تستغرق ثلاثة اسابيع ، أية مخاوف في نفسها .

إلا أن جيمس فرغسون ـ الطبيب الذي يعمل مرشداً لفريق الرحلة ـ كان مصمماً على عدم إصطحابها معهم .. وقررت اندريا ألا تستسلم لهذا الامر . واستطاعت في النهاية ان تلحق بالفريق وتنضم إليه .

ولكن في الظروف البدائية لحياة الادغال ، كانت اندريا ترى فرغسون في ضوء مختلف تماماً . وكان صديق شقيقها جوي رامزي يفقد سيطرته على نفسه ، بينما كانت مارغريت باكستر تفقد حظها في الفوز بقلب طبيب الادغال جيمس فرغسون ...

وتعود اندريا إلى لندن بعد انتهاء المهمة ، وحدها .. الى ان يهطل المطر عنيفاً ذات ليلة ..

لبنان	٦ ل.ل.	الكويت	٧٠٠ ف	اليمن	٨ ر	السودان	٧٠٠ م
سورية	٨ ل.س	الامارات	٩ د	تونس	١ د	فرنسا	١٠ ف
الأردن	٥٠٠ ف	البحرين	٩٠٠ ف	ليبيا	٧٠٠ د	بريطانيا	١ ب
العراق	٥٠٠ ف	قطر	٩ ر	المغرب	٨ د	اليونان	١٢٠ د

١ - الغريب يظهر مرتين

في الساعة الخامسة بعد الظهر هبطت الطائرة في سنغافورة مع ضوء الشمس الساطع والجو الذي وصلت حرارته الى نحو أربعين درجة في الظل.

وبعد مضي ساعتين وبينما استقروا في فندقهم وكانوا يتناولون عشاءهم في مطعم مكيف الهواء بالدور العلوي كان ضوء الغسق الأخضر في المناطق الاستوائية قد بدا يتوارى مع سقوط الليل الباكر.

جلسوا يحتسون القهوة، سألت أندريا:

"ما رايكم في أن نقوم بجولة؟"

كانت أندريا قد استعادت نشاطها بعدما أخذت حماما باردا، واستبدلت ملابسها، ولذلك تجددت في أعماقها رغبة الانطلاق الى الخارج لتشاهد بعض المناظر اذ ظلت لأسابيع تتطلع الى هذه اللحظة التي تعتبر ذورة مرحلة كبيرة من التخطيط والاعداد.

"سنغافورة.. بداية الشرق!"

"سنغافورة... مدينة الأسد"

لقد أحست أندريا بشيء من الاضطراب عندما سمعت في باديء الامر بمعني هذا الاسم فقد كان يعني شيئا غريبا وغامضا.. شيئا مختلفا تماما عن ذلك الجو الرمادي الكئيب الذي يخيم على لندن منذ أوائل كانون الثاني / ينـايـر مع

كل ما يعقبه من أسابيع الشتاء البارد الطويلة ولكن أخيرا انتهى هذا الانتظار لنهاية الشتاء، وأصبحت الأمطار والضباب على مسافة آلاف الأميال وراءهم.

ورفع أخوها عينيه في نظرة سريعة عن الكتاب الذي يقرأه وأجاب:

"ليس الليلة يا آندي.. أريد أن انتهي من هذا الكتاب فقد لا يكون هناك متسع من الوقت غدا."

ونظرت أندريا في رجاء الى رفيقها وهو رجل نحيل ذو شعر أشقر، في بداية الثلاثينات من عمرة وقالت:

"ستأتي معي لنتمشى.. اليس كذلك يا جوي؟"

وارتشف جوي راندي كأسه الثانية وقال:

"لست في مزاج نشاط يا عزيزتي.. فلنسترح الليلة."

وضحكت أندريا قائلة:

"انت يا جوي لا أمل فيك كنا مرتاحين طوال اليوم، ونحتاج الآن لبعض النشاط، هيا تعال معي."

إلا أنه لم يكن من السهل اقناع جوي اذ أمضى الوقت طول الرحلة من لندن يشرب ويغازل مضيفة جوية جميلة ذات شعر أحمر. والليلة بدا وجهه الجميل شاحبا على غير العادة.

وأخيرا قالت اندريا في صوت هادىء:

"حسنا.. سأقوم بهذه الجولة وحدي."

ورد جوي محذرا:

"الأفضل ألا تفعلي ذلك ربما تضلين الطريق أو تتعرضين للاختطاف أو أي شيء آخر هذه ليست أوروبا يا عزيزتي، أنه الشرق الغامض!"

ولكن أندريا التي سافرت الاف الاميال من قبل الى مختلف أنحاء العالم ولم تعد الاماكن الغريبة تثير مخاوفها، أرادت أن تطمئنه، فقالت له:

"لا تخف، أنني لن اذهب بعيدا."

وتدخل شقيقها بحزم في الحوار الدائر قائلا:

"لن تذهبي الى أي مكان."

فقالت في نبرة احتجاج:

"أوه بيتر، ولم لا؟"

فأجابها:

"لأنني متأكد تماما أن المرأة الأوروبية لاتخرج بمفردها هنا الليلة، وعليك الانتظار حتى الصباح يا آندي."

وتنهدت أندريا في حسرة بدون أن تحاول مواصلة الحوار معه.

كان بيتر رغم أنه كان يحاول لفترة ألا يبين ذلك يشعر بتوتر عاطفي منذ بضعة أيام. ورغم ان اندريا لم تكن تعرف الحقيقة كاملة ألا أنها كانت تعلم أنه على خلاف خطير مع تلك الفتاة التي كان يأمل في الزواج منها.

"حسنا."

قالتها بأذعان، ثم أضافت قائلة:

"في هذه الحالة من المستحسن أن أتوجه لأغسل ملابسي وسألتقي معكما على مائدة الافطار، طاب مساؤكما."

ونهض الرجلان وهي تنصرف عن المائدة، وتجول جوي بنظره ليشاهدها وهي تغادر المطعم. وطوال الوقت بينما تتابعها نظراته كان على استعداد أن يغير رأيه ويقترح عليها أن يرافقها ألا أنه في شيء من اللامبالاة، عاود الجلوس فوق مقعده وارتشف ماتبقى في كأسه. كان النزلاء الذين استرخوا على مقاعدهم في أماكن متفرقة عند مدخل القاعة المغطاة بالرخام يراقبون أندريا أيضا وهي تتجه ناحية المصعد وكان معظمهم من الاميركيين والاستراليين ولكنهم لم يتعرفوا عليها كما كان من الممكن أن يفعل أغلبية الانكليز.

الا أن شعرها الاشقر العسلي، وقوامها الفارع الرشيق، جذبا الانتباه في كل مكان. فلم يكن جمالها من ذلك النوع

العادي مثل تلك المضيفة الجوية ذات الشعر الاحمر التي رافقت رحلتهم على الطائرة. بل كان هذا التآلف بين عينيها الخضراوين ذات الرموش الطويلة وأنفها الدقيق وذقنها المستقيم يتسم بجاذبية تفوق كثيرا جاذبية أي وجه آخر.

وفي غرفتها في الطابق الاول غسلت أندريا قميصها وعلقتها على المشجب، أخذت تجوب غرفتها بلا هدف تحدده الرغبة في التعرف على الشوارع المزدحمة التي شاهدتها على عجل أثناء انتقالها في السيارة من المطار الى الفندق.

وكانت تحدث نفسها في تساؤل هل صحيح أن الفتيات لا يستطعن الخروج بمفردهن؟ أو أن بيتر يريد فقط أن يكون متشددا معها، أو أنه يبالغ في حمايتها؟

فرغم أنها بلغت العشرين من عمرها، ظلت تشعر بأنه مازال يعاملها كأنها لم تتجاوز طور المراهقة. والواقع أنه لولا مساعدة جوي لها لما كان من الممكن أن تكون في ستفافورة على الاطلاق. تذكر أنها كانت لا تزال في السابعة عشرة طالبة غير متحمسة في كلية أعمال السكرتارية في لندن عندما تمكن شقيقها بيتر عالم الحيوان، وجوى المصور التلفزيوني من تدبير الأموال وصورا فيلما لحسابهما عن الحياة البرية والطب البدائي في الاحراش في جزر البهاما. وفي ذلك الوقت توسلت أندريا أن تذهب معهما كرفيق طريق. وكان الرفض في البداية ولكن جوي ارتأى فيما بعد أنهما قد يستفيدان بها في اعداد الفيلم وهي تذكر قوله:

"أنها ليست رفيقا سيء المظهر يابيتر، كما أن أي قدر من الفتنة يساعد على ترويج أي شيء".

وأضاف موضحا:

"أنها بهذا القوام الجذاب، يمكن أن تصبح نجمة أخرى".

الا أن بيتر الذي لم يكن يفكر بالصبغة التجارية مثل جوي رفض هذه الفكرة التافهة، وفي النهاية وافق على أن

تقوم أندريا بمصاحبتهما في تلك الرحلة.

والواقع أن الفيلم الذي أعد في نطاق ميزانية محدودة جدا، والذي ظهرت فيه أندريا في لقطة واحدة قصيرة حقق نجاحا فاق كل توقعاتهم.

وعرضت هذا الفيلم أولا شركة أقليمية لكنه حصل فيما بعد على جائزة دولية، وبيع الى شبكات أوروبية عديدة على أن النتيجة الأكثر أهمية لهذا الفيلم هي أنه أدي الى توقيع عقد لتصوير سلسلة مكونة من ستة أفلام مدة كل فيل منها ثلاثون دقيقة. والآن وبعد مضي ثلاث سنوات يجري عرض فيلم آخر لرحلة لهم في بتسوانا أثناء الوقت المخصص لعرض أهم الافلام والليلة يتأهبون للقيام برحلة أخرى تبدأ في الغد.

أما هدفهم هذه المرة فهو التوصل الى بعض الكهوف في أعماق أحراش الملايو وتصويرها - كهوف من المأمول أن تحتوي على بعض النقوش الصخرية البدائية البالغة الاهمية التي لم يتم اكتشافها أبدا في جنوب شرقي آسيا.

الساعة بلغت الثامنة والنصف مساء عندما أحست أندريا أنها غير قادرة على التركيز في قراءة كتاب كان معها، وأنه ليست لديها الرغبة للحاق بجوي في حانة الفندق. وإزاء ذلك رأت أنها لن تكون قادرة أبدا على النوم مالم تقم بنزهة على الاقدام. وفي أية حال تذكر أنها لم تقطع وعودا لأحد كما أنه بالتأكيد لن يكون هناك أي ضرر لو خرجت على مسؤوليتها نصف ساعة طالما أنها التزمت السير في الشوارع الرئيسية.

وبعد أن استبدلت حذاءها ذا الكعب العالي بآخر مسطح وغطت رأسها بوشاح حريري، أوصدت باب غرفتها وغادرت الفندق من أحد الابواب الجانبية حتى تتجنب المرور أمام حانة الفندق، حيث يجلس جوي.

وفي الخارج كانت حرارة الجو انخفضت عشرين درجة، وكان نسيم خفيف يداعب أوراق شجرة البلوط في ساحة

الفندق وكانت السماء صافية ولامعة بالنجوم الجنوبية. وعند البوابة الرئيسية مر أحد الصبية - وكان راكبا دراجته التي يطلق عليها اسم تريشا واقترب من الرصيف لاجتذاب انتباهها فابتسمت أندريا وهزت رأسها له، ثم انطلق الصبي في الطريق.

ورغم ان المتاجر الكبيرة ذات النمط الغربي كانت مغلقة في ذلك الوقت الا أن معظم المحلات التجارية الصينية كانت لا تزال مفتوحة وكانت المدينة تموج بالحياة والحركة وكأن الوقت في عز النهار.

أفتتنت اندريا بالجلبة الصادرة عن أنغام أصوات الكانتونيين والرائحة اللاذعة لعصي الجس المحترق وكل الاشياء الغريبة المعروضة للبيع، والشموع الشعائرية القرمزية الطويلة، والاكياس المملوءة بالاسماك المجففة ذات الرائحة النفاذة، والسارنغ وهو اللباس الرئيسي لسكان المنطقة وظلت تتمشى على طول الارصفة ذات الاعمدة والتي تقي المترددين على المتاجر من أية سيول استوائية مفاجئة. الا أنه كان واضحا أن السماء لم تمطر لبضعة أيام، وذلك لأن مصارف المياه الموسمية العميقة كانت جافة تماماً.

وعند بوابة أحد البنوك كان حارس معمم وذو لحية طويلة رمادية يغط في نوم عميق على فراشه. وقد تعجبت أندريا كيف يكون في استطاعته النوم وسط الضجة وصيحات البائعين المتجولين، وضجيج أجهزة الراديو.

وبعد فترة قصيرة وجدت نفسها أمام مسطح مائي، وكان الميناء مزدحمة بالزوارق الصينية التي كانت السيدات تقمن على بعض منها باعداد طعام العشاء على مجامر فحمية متوهجة. وكان هناك آخرون يشترون وجبات جاهزة من الأكشاك على طول الرصيف. وعندما اجتذبتها الروائح الفاتحة للشهية المختلطة بطحالب البحر المملحة وقفت أندريا في انتظار دورها عند أحد الاكشاك حيث يباع الدجاج المحمر

في أسياخ عبارة عن عصي خشبية. وكانت اندريا تهم بفتح حقيبتها لتخرج منها كيسَ نقودها عندما قال لها شخص في صوت حاد كان يقف خلفها:

"لو كنت مكانك ما اشتريت شيئا!"

وتلفتت أندريا حولها وهي تشعر بالدهشة، فوجدت نفسها أمام رجل غريب وأن كان يذكرها على الفور بشخص ما وكان هذا الشخص من الناحية الجانبية يوحي بشعره الاسود وبشرته البنية بأنه هندي الا أن عينيه كانتا رماديتين وكان صوته العميق يوحي بأنه انكليزي بلا شك.

وتساءلت اندريا بصراحة:

"ولم لا؟"

فأجابها:

"لأن أحدا لا يفعل ذلك.."

"لا أحد؟"

قالتها في دهشة وهي تنظر الى الناس الذين كانوا يلتفون حول الكشك.

فرد قائلا:

"ليس هناك أوروبيون."

"أوه، فهمت إنك تقصد انه لا يحدث حسب ما أعتقد."

قالتها وهي تهز كتفيها تعبيرا عن اللامبالاة.

واندريا لا تهتم بأولئك الناس الذين تحكم حياتهم قائمة طويلة من القواعد التافهة عما يفعل وما لا يفعل وكانت تفضل أن تحدد لنفسها ما تراه مناسبا لها.

وضاقت عينا الرجل وهو يقول:

"انني أقصد أنك لو كنت قد أكلت شيئا من هذه الاطعمة فقد تضرك، وقد تمرضين بدرجة خطيرة."

"ولكنها تبدو لذيذة الطعم."

فأجابها متفقا معها:

"ربما لكن الا ترين هذه الفتحة في الحائط هل تعرفين سبب وجودها ؟"

ونظرت أندريا الى حيث أشار الرجل:كان هناك عند أسفل حائط المبني خلف كشك الشارع ما يشبه باب خزانةٍ ولكنها لم تلحظه من قبل.

وقال الرجل بصراحة:

"يوجد خلف هذا الباب مرحاض وحجرة لغسل اليدين."

واستطرد قائلا:

"في أي وقت سيحضر جامعو النفايات الذين يعملون ليلا ويفتحونها وأن كان الموقف لا يخيفك - تستطيعين القاء نظرة فاحصة على صاحب الكشك، ملابسه نظيفة الا أنه ربما لا يكون قد غسل يديه منذ يومين."

واستوعبت اندريا كلام الرجل وأحست فجأة بغثيان بسيط، ثم قالت بعد أن استعادت بسرعة رباطة جأشها:

"حسنا ، أشكرك لتحذيرك أياي، لكن لا داعي للقلق لانني تبينت الآن أنني لا أمتلك أية عملات محلية."

وحييته برأسها وهي تبتسم ومضت منصرفة.

ولم تكن اندريا قد قطعت سوى بضع ياردات قليلة عندما اكتشفت أن هذا الرجل يتعقبها ثم اذا به يسير الى جوارها وهو يقول في تصميم:

"سأصحبك حتى الفندق الذي تقيمين فيه."

وردت علية بطريقة مهذبة؛

"إنني أعرف الطريق شكرا لك."

ومن المؤكد أنه قد سمع أجابتها بوضوح، ولكنه لم يكلف نفسه حتى مجرد النظر اليها وواصل السير وكأنه اتخذ قرارا لا يقبل المناقشة او التراجع.

وشاع الدم في وجه اندريا خجلا، وأخذت تسير مسرعة ألا أنها كانت تعرف أنها لا تستطيع أن تسبقه فإن

ساقيه الطويلتين قادرتان على اللحاق بها بسهولة.

ولم تكن أندريا خائفة من الرجل كان هناك في الحقيقة شيء فيه يجعلها تشك في أنه واحد من ضباط الشرطة السريين. ألا انها كانت تشعر بالاستياء بسبب طريقته المتشددة المتعالية. فقد كان باستطاعته أن يحذرها من هذا الطعام الذي يباع دون أن يجعلها تشعر أنها بلهاء، وكان باستطاعته أيضا أن يعرض مصاحبتها لها بدلا من أن يفرض نفسه عليها بهذه الطريقة.

وعند ملتقى الشارعين الرئيسيين، وضع الرجل يده تحت مرفقها لكي يوجهها عبر الشارع المزدحم. ألا أنه بمجرد أن وصلا الى الجانب البعيد من الشارع انزل الرجل ذراعه. ولما اصبح الفندق على مرمى البصر قالت اندريا:

"اصبحت في امان الآن واستطيع أن أذهب الى مكاني بسهولة."

ونظر الرجل اليها بعينيه الرماديتين نظرة فاترة خالية من المشاعر وتساءل:

"هل تقيمين بمفردك في سنغافورة؟"

وأجابته:

"كلا.. أنني أسافر مع أخي."

"من الأفضل أن أتحدث اليه لانه واضح عدم ادراكه أن هذه المنطقة ليست ملائمة لفتيات صغيرات يخرجن فيها وحدهن في الليل."

وهزت أندريا كتفيها، وقالت في فتور:

"أعتقد أن هذه مسألة رأي، لقد اعتدت أن أتجول بمفردي."

"ربما كنت تفعلين كذلك في انكلترا ولكنك هنا في ميناء أجنبي يضم سكانا ذوي أخلاق بغيضة تماما."

وبدأت مشاعر أندريا تثور تماما بعض الشيء فأجابت قائلة:

"أستطيع أن أقول أن هذا قد يكون موجودا بالفعل ولكنني لم أكن أعتزم أبدا أن أتجول في الشوارع الخلفية وفي أية حال، شاهدت العديد من البحارة البريطانيين. وأنني على يقين من أنهم كانوا سيهرعون لمساعدتي أذا ما واجهت أية مواقف صعبة."

ورد الرجل على الفور:

"ولكن ما تقولينه خارج عن الموضوع، لأنه من الافضل الا تضعي نفسك في موقف تحتاجين معه الى المساعدة من أحد."

وردت اندريا في انفعال:

"أوه.. صحيح.. أنني لست تلميذة صغيرة كما تعرف.. هل تجعل مهمتك دائما اعطاء محاضرة لاية امرأة تسير بمفردها عن أخطار القيام بنزهة مسائية لا ضرر منها."

واجابها في جمود:

"أن معظم النساء لا يحتجن الى من يحاضرهن.. هل هذا هو الفندق في مواجهة الميدان؟"

"وأجابت في ضيق:

"نعم.. وإنني لقادرة تماما على اجتياز بقية الطريق بمفردي.. وأرجو أن تتركني وحدي."

"حسنا جدا.. تصبحين على خير."

قالها وهو يهز كتفيه دلالةً على عدم الاهتمام بها، وكان المفروض أن ينصرف، إلا أنه لم يبتعد ، وكذلك لم تتحرك أندريا هي الاخرى لفترة من الوقت ثم بعد أن تمتمت بعبارة طبت مساء، استدارت وأسرعت الخطى.

ولكنها كانت تحس وهي تمشي الى الميدان العام أن عينيه ترصدانها، وعندما وصلت الى بوابة الفندق والتفتت في نظرة خاطفة نحو المكان، كان مازال واقفا هناك تحت مصباح الشارع، منتظرا ومراقبا.

وأثناء اتجاهها الى الباب الجانبي الذي غادرت عن

طريقه الفندق، أدركت في خجل أنها واجهت هذا الموقف بدون ثقة في النفس.

ووجدت اندريا صعوبة في تلك الليلة أن تخلد الى الراحة والنوم. ولم تكن غرفة نومها مكيفة الهواء. ورغم أن ريش المروحة السريعة الدوران كان يخفف من شدة الحرارة الى حد ما، الا أن الجو كان قابضا للصدر، ثقيل الوطأة جدا ولا يوفر أبدا الشعور بالارتياح.

والحقيقة أن المسألة لم تكن فقط حرارة الجو، والظروف غير العادية المحلية التي جعلتها لا تستطيع النوم أذ وجدت نفسها مستلقية على ظهرها في الظلام وقد غطت نفسها بملاءة خفيفة تفكر في هذا الرجل الذي قابلته ووجدت نفسها تحاول أن تحدد الشبه بينه وبين رجل آخر التقت به أو شاهدته في مكان آخر.

ونظرا لأنها كانت تعرف أنها لاتتمتع بذاكرة قوية بالنسبة الى الوجوه أدهشها أنها تتذكر كل ملامح منظره مطبوعة في ذهنها. ورغم قصر مده لقائهما، ادركت أنها يمكن أن تتعرف اليه أذا التقت به في أي مكان ليس فقط بسبب وجهه الاسمر اللافت للنظر بل أيضا بسبب طريقة سيره وشكل مؤخرة رأسه.

وفجأة أثناء تفكيرها في حيرة بطول الفترة التي لابد أن يكون قد عاشها في منطقة الغابات لكي يكتسب هذا اللون البني الهندي أدركت لماذا كان هذا الرجل يبدو مألوفا بصورة غامضة، لقد كان مفتاح هذا اللغز في البوم يضم صورا فوتوغرافية وكان يمتلكه جوي، وهو البوم قلبت صفحاته بعد ظهر يوم ما في شقته في لندن عندما كان هو وبيتر يخططان لرحلتهما الحالية. وكانت هذه الصور الفوتوغرافية كلها تمثل دراسات لأناس من نوعيات مختلفة تتدرج من امرأة فلاحة عجوز في صقلية الى محترفي قطع رؤوس الاعداء في دياك. الا أن الصور التي كانت تذكرها بوضوح أكثر كانت

خاصة بأحد رجال قبيلة باتان. وهو يتميز بعينين تتسمان بالقسوة، وكان يعيش في المنطقة الجبلية البرية على حدود الهند الشمالية الغربية.

ولهذا السبب كان الرجل الذي قابلته الليلة الماضية يذكرها بشخص هندي لا لان هذا الرجل يشبه تماما الهنود في سنغافوره من رجال السيخ ذوي الاجسام الممتلئة المتراخية الهزيلة والشعر المتموج - ولكن لأن بشرته البرونزية الغامضة، وأنفه ذا القصبة العالية، ووجنتيه الهزيلتين جعلته يشبه الى حد كبير المقاتلين الاشداء في أفغانستان.

وتذكرت ما قاله جوي من أن هؤلاء الرجال لهم في بعض الاحيان عيون زرقاء أو رمادية وأنهم مشهورون بكبريائهم وشجاعتهم وكذلك بمعاملتهم غير الرحيمة لأسراهم في العصور القديمة.

وفي اليوم التالي أحضر شاي الصباح شاب صيني تعلو وجهه الابتسامة كان الوقت مبكرا وكانت ابتسامته عذبة فرأت أن تمنحه بقشيشا، ولم يكن معها الا العملات الانكليزية - وكان واضحا أن هذه الطريقة مقبولة تماما لأنه دلف خارجا من الغرفة وهو ينحني احتراما لها كأنها من طبقة متميزة، وبدلا من قطع البسكوت المعتادة المصنوعة بالزبد، وجدت ثمار الاناناس على الصينية، بالاضافة الى عدد من الاصابع الموز القصيرة السمينة التي لايزيد طولها على طول لأصابع وأن كانت أحلى مذاقا من ذلك النوع الذي تستورده انكلترا، كذلك كانت ثمار الاناناس الطازجة أروع مذاقا من الفاكهة المعلبة.

وعندما لحقت أندريا بجوي وبيتر لتناول طعام الافطار، سألها جوي:

"كيف نمت الليلة؟"

وفي ذلك الوقت كانت أندريا قد نشرت فوطة المائدة

على الجزء السفلي من فستانها القطني الذي ترتديه أثناء النهار أما شقيقها فانه بعد أن ألقي عليها تحية الصباح، استغرق تماما في قراءة صحيفته، فلم يتابع شيئا من الحوار بين شقيقته وصديقه.

وردت أندريا على جوي وهي حريصة على ألا تبدي اهتماما كبيرا فقالت:

"أوه، ليس بدرجة سيئة جدا، ولكن كيف أمضيت أنت ليلتك؟"

وأجابها جوي بدون أن تبدو على ملامحه البهجة:

"بصورة سيئة."

وكان رده في إيجاز، ولكنه أردف بعد فترة صمت قائلا:

"ستة شهور هنا في هذا المناخ سوف تمضي وتقضي علي.."

ثم وجه كلامه الى الخادم:

"لاأريد قهوة سوداء، ولا أريد أن أتناول أي طعام، أشكرك."

وبعد أن ألقت أندريا نظرة على قائمة الطعام، طلبت مزيدا من ثمار الاناناس الطازجة، وبيضا مقليا على خبز محمص.

وسألها جوي:

"هل يضايقك أن أدخن سيكارة؟"

وهزت رأسها بالنفي ففتح علبة من النوع الذي يفضله ولا شك أنه بانتهاء اليوم سيكون قد أتي على علبتين آخريين.

وكانت أندريا تراقبه وهو يشعل سيكارته ويجذب دخانها بقوة وهي تشعر بالضيق من هذه الطريقة التي يدمربها صحته تدريجيا ودون أن يعبأ بشيء.

"لطالما شعرت أندريا بالحيرة ترى ما الذي جعله على هذه الحالة؟ فليس هناك في ماضيه ما يدفعه الى حالة اللامبالاة التي يعيشها. أحبته كما كان يفعل كل من يعرفه وكان هو بلاشك مصورا مبدعا، إلا أن استهتاره بجوانب حياته الاخرى جعلها تشعر بالغضب والقلق ويبدو أنه لم يعد قادرا على

مقاومة أي وجه جميل، أو ابتلاع أي شراب آخر، أو الدخول في أي مراهنة ثم أنه لم يحدث أبدا أن عالج شيئا بصورة جادة. ومع ذلك كان دائما مرحا وعطوفا وكريما حتى كان من المستحيل أن نصفه بأنه مجرد انسان مستهتر. وقبل أن يفرغ الثلاثة من تناول افطارهم، استدعي بيتر لمحادثة تليفونية.

وعندما عاد قال لهما:

"كان فرغسون هو المتحدث اتصل هاتفيا ليطمئن الى أننا وصلنا في الموعد المجدد.. ويقول أنه مرتبط بمواعيد مختلفة طوال اليوم ألا أنه سوف يحضر مساء.. اقترحت عليه أن يتناول عشاءه معنا."

وسألت أندريا باهتمام:

"وكيف تبدو لك شخصيته من خلال حديثه؟"

كان الدكتور فرغسون هو الرجل الذي سيقود خطواتهم ويرشدهم الى الوادي الشمالي البعيد الذي يقال أن الكهف فيه.

وهز شقيقها كتفيه بغير اهتمام وقال:

"أنك لا تستطيعين معرفة الكثير من خلال محادثة هاتفية استمرت دقائق، ألا أنه يبدو أنه أعد كل شيء وسوف تبدأ أول مرحلة لنا صباح الغد."

وكان بيتر اتصل بالدكتور فرغسون عن طريق معهد لندن للطب الصحي والاستوائي. ولم يكن هناك ما يعرفونه عن مرشدهم أكثر من أنه اخصائي في علم الامراض ومتخصص في دراسة الامراض الاستوائية الغامضة. وكان خلال العامين الماضيين يقوم ببحث ميداني في الملايو، وكان على ما يبدو واحدا من الرجال البيض القلائل الذين شاهدوا الوادي الذي يريدون التجول فيه، كما كان فرغسون يعرف جيدا قبائل السكان الاصليين التي عاشت في هذه المنطقة.

وتكهن جوي وهو مسترخ تماما فقال:

"اعتقد أن الرجل نموذج للباحث الذي يمضي نصف وقته واحدى عينيه لصيقة بالمجهر، والنصف الاخر في كتابة نظريات عميقة مبهمة عن أسباب وطريقة علاج مرض البري بري أو ما تعانون منه.. أن نظرياته تستوعب كافة الانواع."

وأثناء الفترة الصباحية حضر مندوب صيني من مجلة ستريتس تايمز ليجري معهم حديثا صحفيا وبعد انتهاء الحديث توجه جوي وأندريا للتسوق.

ونظرا لانهما لم يعتادا على جو الظهيرة الشديد الحرارة، فان أحدا منهما لم يستطع أن يتناول أكثر من ساندويش وكوبا من الشراب المثلج عند الغداء. وقد أمضت أندريا فترة بعد الظهر في صالون للتجميل مكيف الهواء في الفندق، تديره ثلاث فتيات صينيات ذوات شعر أسود يرتدين أردية من النايلون لها ياقات عالية.

وعندما لحقت أندريا بالرجلين لتناول الشاي في القاعة كان شعرها مصففا الى أعلى على الطريقة الفرنسية، وكانت أظافرها، ورجليها قد تم طلاؤها بطلاء وردي لامع.

ولم يلحظ بيتر تسريحة شعرها أو أظافرها، أما جوي فقد تنبه لذلك وقال في اعجاب:

"أنك تبدين جميلة جدا من الذي تعتزمين استهواءه، هل هو الزميل فرغسون؟"

وضحكت أندريا وهزت رأسها قائلة:

"لن أخرج لاستهواء أحد بالذات، أحسست فقط انني أمضي آخر ليلة من حياتنا المتمدنة وهذا كل شيء. من يدري فقد لا نعود أبدا.."

"أنه تفكير مشجع.."

قالها جوي ساخرا ثم أضاف متسائلا في سخرية:

"ما الذي تتوقعين حدوثه لنا؟"

"إنني لا أتوقع، ولكن هناك دائما احتمالا قائما في أن

شيئا قد لا يسير على مايرام، قد نضل طريقنا أو قد يصيبنا المرض وقد تهاجم الافيال المخيم الذي نقيم فيه، هناك أكثر من مائة احتمال واحتمال."

وكانت أندريا تتحدث في مرح، بما لا يدل على أن شيئا من هذه الاحتمالات يشغل بالها .

وبعد أن تناولت الشاي توجهت الى غرفتها ووضعت معظم حاجياتها في حقيبتها كي توفر الوقت في الصباح. والواقع أنه لم يكن هناك داع لأن تطلي أظافرها ، لانه سيتعين عليها غدا أن تزيله وأن تقص أظافرها . الا أنه من حقها من ناحية أخرى أن تعتني بمظهرها حتى اللحظة الاخيرة أن السماء وحدها تعلم كيف سيكون حالها بعد اسبوعين أو ثلاثة أسابيع وهي تعيش في الادغال.

وفي السابعة ألا ربعا - أي قبل موعد حضور الدكتور فرغسون بخمس عشرة دقيقة ارتدت فستانا أبيض دون أكمام بدا نسيج القماش كأنه حريري كان ثوبا يناسب الجو الحار من النوع الذي لايتكرمش وكان للفستان بطانة، ولذلك لم يكن ضروريا أن ترتدي أي شيء تحته الا الملابس الداخلية.

وأحست أندريا بالراحة لأنه لم يكن ضروريا أن تضع حول خصرها حزاما ضيقا، كما لبست في قدميها صندلا ذهبي اللون من الطراز الهندي، وارتدت اسوارة فيروزية حول معصمها . وبعد أن فحصت حقيبتها وبسطت مروحتها العاجية التي اشترتها من احد المتاجر اصبحت جاهزة تماما .

وكان بيتر وجوي في ذلك الوقت قد جلسا الى منضدة عند مدخل القاعة. وعندئذ خرجت أندريا من المصعد وأقبلت عليهما الا أن الساعة لم تكن قد قاربت السابعة ولم يكن الدكتور فرغسون قد وصل بعد .

وسألها جوي بعد أن جلست على احد المقاعد المصنوعة من الخيزران:

"أي شراب تحبين؟"

"عصير أناناس من فضلك."

"الا ترغبين في مشروب أقوى كنت أعتقد أنك تودين أن تجعليها ليلة وداع؟"

"لا ، ليس هذا النوع من الليالي."

قالتها أندريا وهي تتابع بنظرها زوجين من الهنود المرأة ترتدي ساريا هنديا حريريا غاية في الجمال، وتتجه خارجة لتستقل سيارة أجرة في أنتظارها .

وعندما أخذت تتحول بنظرها الى جوي شهدت رجلا يصعد السلم عند المدخل الرئيسي. وعندما تعرفت على شكله الطويل ذي الكتفين العريضين، تصلبت في مكانها كان هذا الرجل هو نفسه الشخص الذي صمم على اصطحابها الليلة الفائتة.

وسارعت أندريا بنشر مروحتها مستخدمة أياها لتخفي بها وجهها عنه، وكانت تشاهده وهو يعبر القاعة الى مكتب الاستقبال في الفندق يرتدي سترة تناسب وقت العشاء وهي مصنوعة من قماش الشاركستين الابيض وبنطلونا غامقا ضيقا .

وساءلت نفسها في حيرة ترى هل جاء هذا الرجل ليصطحب شخصا ما ، أو انه ينوي تناول العشاء في الفندق. ترى هل سيتعرف عليها وأذا حدث فهل سيبدي مايدل على أنه يعرفها وأذا فعل فهل عليها أن تخبر بيتر بأنها خرجت في الليلة الفائتة؟

ولم تدم حيرتها طويلا لأنه بعد أن تبادل الكلمات قليلا مع الموظف الصيني اتجه مباشرة الى المائدة التي يجلسون عليها فالتقطت أنفاسها في رعب وفزع مدركة فجأة من يكون هذا الرجل.

"السيد فيلمنغ أنا فرغسون."

كان صوت هذا الرجل الغريب وهو يقدم نفسه الى شقيقها

بيتر هو الصوت العميق العنيف الذي سمعته مساء امس.

وبعد أن تصافحا قال بيتر:

"هذه شقيقتي أندريا، وهذا زميلي جوي راندي."

وعندما أحست أندريا أنها مضطرة لمواجهته، رسمت ابتسامة فاترة على شفتيها وقالت في عصبية:

"أهلا وسهلا."

وانحنى الدكتور فرغسون محييا:

"طاب مساؤك."

ثم استدار ومد يده ليصافح جوي، ولم تظهر في عينيه الرماديتين الجامدتيين أي بادرة توحي بمعرفة سابقة بها.

وعندما جلس الرجال الثلاثة الى مائدة الطعام، نادى بيتر على الخادم وسأل الضيف ماذا تريد أن تشرب. ولمحت أندريا دهشة على وجه جوي عندما طلب الطبيب مياه منشطة ورفض السيكارة التي قدمها له.

وكانت أندريا في حيرة وهي تنظر الى رباط صندلها الجلدي هل من الممكن الا يكون فعلا قد تعرف عليها الا أنه يبدو من غير المحتمل أن يكون قد نسي لقاءهما. صحيح أنها ترتدي فستانا آخر بدون وشاح على راسها ولكنها لا تبدو مختلفة جداً عن الليلة الماضية. والواقع ان الرعب الذي كانت تشعر به أشاع في نفسها حيرة وقلقا شديدين ولم تكن تدري كيف يمكن أن تتصرف في مواجهة هذه الظروف غير المتوقعة.

وأمام المائدة في المطعم كان الدكتور فرغسون يجلس مواجها لها ورغم أنهالم تستطع اختلاس النظر اليه دون أن يحس الا أنه لم يتمكن أبدا من ملاحظتها وهي تنظر اليه. ويبدو في الحقيقة أنه كان يتعمد تجاهلها. وكان كل انتباهه موجها الى بيتر وجوي.

وبعد أن فرغت أندريا من تناول الايس كريم والفاكهة تبينت أنها لم تقل كلمة واحدة منذ جلسوا الى المائدة.

ثم تناولوا قهوتهم في شرفة ورغم أن الرجل جلس الى جوارها شعرت أندريا بأن الدكتور فرغسون ربما يرغب في أن يبقى الكرسي الذي تجلس عليه خاليا.

وأخذ أندريا تفكر في أيه ملاحظة مناسبة يمكن أن تقولها حتى تجبره على أنه يعترف بوجودها معهم - وفجأة سأل فرغسون أخاها بيتر اذا كان لديهم أصدقاء في سنغافوره، ورد شقيقها عليه قائلا:

"لا اننا لا نعرف احداً."

ورفع الدكتور فرغسون حاجبيه في دهشة متسائلا:

"هل تعتقد أنه من الحكمة أن تترك شُقيقتك هنا وحدها ونحن في داخل البلاد؟"

وجاء الرد من جوي:

"أندريا لن تكون في مفردها فهي جزء من الفريق."

فتساءل الدكتور فرغسون:

"إذن فهل أنت تقترح اصطحابها معنا؟"

وسألت أندريا هل لديك اعتراض يادكتور فرغسون؟"

ولأول مرة منذ وصوله الى الفندق، تلاقت عيناه الرماديتان مع عينيها، وقال في لهجة حادة مقتضبة:

"لدي اعتراض حقيقي."

وردت أندريا في لهجة جافة:

"ماذا تعني."

"الغابة لا تصلح مكاناً للمرأة ولا مجال لاصطحابك معنا."

وساد الصمت واستطردت أندريا في استغراب يتسم بالسخط:

"بالطبع سأذهب معكم والا فماذا تفسر وجودي هنا. انني جزء من الفريق انه عملي."

ونظر الى بيتر ثم قال:

"انني آسف ياسيد فليمنغ لم أكن أعرف أن فريقكم

يضم امرأة ولو عرفت ذلك من قبل لكنت أبلغتكم في الحال أن الفكرة غير مجدية وغير عملية؟"

وتساءلت أندريا:

"لماذا تكون الفكرة غير عملية وغير مجدية رافقت بيتر وجوي في كل ماكن دون أن يعترض على وجودي أحد من قبل."

وسألها الدكتور فرغسون:

"هل سبق لك أن تواجدت في غابه ممطرة من غابات الملايو؟"

"كلا لم يحدث ذلك من قبل ولكن ذهبت الى الاحراش في افريقا."

فرد عليها وهو يهز كتفيه:

"أن الاحراش الافريقية تعتبر حديقة مبهجة اذا قورنت بالأدغال الموجوده هنا، وأنا أرجح أنه أثناء وجودكم في افريقيا كانت أجهزتكم تنقل بواسطة حمالين، وأنا أرجح أنكم كنتم تنتقلون من مكان الى آخر بواسطة سيارة جيب في معظم الاحيان.. أما نحن هنا فسوف نسافر مشيا على الاقدام بدون حمالين أنها عملية صعبة بالنسبة الي الرجل ولن تستطيع امرأة أن تتحمل هذا الوضع ليوم واحد."

وتدخل بيتر قائلا:

"شقيقتي قوية بدرجة كافية يا فرغسون وهي تعلم جيدا أن مهمتنا لن تكون مجرد نزهة."

ونظر فرغسون الى أندريا في تمعن فاحصا ومقيما كل جزء فيها من الرأس حتى قدميها في تمعن فاحصا أظافرها ذات الطلاء الوردي اللامع.ظلت تعبيرات وجهه جامدة كأنه يفحص شريحة تحت مجهر ولكن أندريا أحست رغم ذلك بموجة من حمرة الخجل تسري في عنقها حتى جبهتها وقبضت يديها في محاولة لضبط مشاعرها التي بدأت تجتاحها وفجأة ولأول مرة في حياتها فهمت أي نوع من الكائنات كانت المرأة قبل أن تحرر عندما كانت محكومة بقوانين يصدرها بعض

الذكور المتغطرسين ذوي القلوب القاسية كانت هذه الافكار بمثابة نظرة الى داخلها ملأتها بمشاعر الحنق العنيف.

الا انها قبل ان تتمكن من الحديث، اتجه الدكتور الى شقيقها مرة أخرى وقال مكررا:

"آسف فربما لا أستطيع تحمل مسؤولية اصطحاب شقيقتك في هذه الرحلة ويتعين عليك أن تقبل رأيي بالنسبة الى المسألة وفي أية حال فبدلا من تركها بمفردها في سنغفوره أقترح أن تبقي مع بعض أصدقاء لي داخل البلاد، وسوف يسعدهم أن تقيم معهم وأذا امتد أجل الرحلة عما تتوقع فلن تقلق عليها."

والقى نظرة على ساعته وهب واقفا وهو يقول:

"لا أعتقد أن هناك شيئا للمناقشة أستأذنك في الانصراف فلدي موعد آخر في العاشرة وسوف أصطحبك غدا في الساعة السابعة طبتم مساء."

واوما فرغسون برأسه الى جوي وانحني نصف انحناءة لأندريا وانطلق مسرعا.

وبعد أن ذهب وجه جوي حديثه بطريقة ساخرة الى أندريا فقال لها:

"حسنا أن ذلك يضعك في مكانك المناسب يا عزيزتي.. فلنتريث، ولا داعي للانفعال وأستطيع أن اقول أنه في أمكاننا أن نعيد النظر في الموقف."

ونظرت أندريا الى شقيقها وهي تكتم مشاعرها وقالت:

"لا أحسب أنك ستتركه يتصرف هكذا."

وتجهم وجه بيتر وقال في أسى:

"انه لموقف صعب ولو أراد فرغسون أن يصر على رأيه فلن نستطيع أن نفعل شيئا في مواجهة ذلك يا آندي، كان من الصعب في بداية الامر اقناعه بالموافقة على اصطحابنا، وبدونه لا يستطيع أحد منا التحرك."

"أوه يا بيتر.. كيف توافق على رأيه؟"

"أنا لا أوافقه أنني فقط أواجه الحقائق أنه يضعنا في مأزق، ولا بد أن تقدري ذلك."

"وقال جوي مؤيدا وجهة نظر أندريا:

"ولكن موقفه غير معقول تماما انا لست بالضبط من نوع الرواد الأقوياء ولو صممت على القيام بهذه الرحلة فأعتقد أن أندي تستطيع هي الاخرى أن تفعل ولن تكون هذه هي المرة الاولى التي تواجه فيها مواقف صعبة."

ورد بيتر متشككا:

"أعرف ذلك ألا أنه كما يقول فرغسون فهذه المنطقة جديدة تماما بالنسبة لنا.وقد يكون على صواب وقد تكون هذه الرحلة صعبة جدا بالنسبة اليها في أية حال سأحاول التحدث اليه مرة أخرى صباح غد وربما أستطيع ان أغير رأيه."

واستفسرت أندريا:

"وأذا لم تستطع ذلك؟"

وأجابها بيتر مترددا:

"كل شيء في وقته."

ونهض بيتر عن كرسيه واقفا ووضع غليونه في جيبه وقال:

"سأخرج الى النزهة لمدة نصف ساعة هل ترغبان في الذهاب معي؟"

وهز جوي وأندريا رأسيهما اعرابا عن عدم رغبتهما في الخروج معه، وعندما توارى بيتر الى الداخل قالت اندريا في حنق:

"أوه، يا له من رجل لا يطاق، انا واثقة ان بيتر لن يستطيع حمله على تغيير رأيه لقد اتخذ قراره وانتهي الأمر."

وفرغ جوي من شرابه ونظر اليها قائلا:

"كان ينبغي ألا ترتدي هذا الفستان يا عزيزتي فربما يشعر أن وجودك سيجعله غير قادر أن يركز على عمله."

"بالتأكيد انا لم اجتذب انتباهه أثناء العشاء بل

تجاهلني تماما."

"صحيح أنه لم ينتبه اليك كثيرا اليس كذلك ولكنني في حيرة لماذا فعل هذا."

وفكرت أندريا بعض الوقت في ما أذا كان ينبغي عليها أن تروي له ما حدث لها أمس أم لا ولكنها في النهاية قررت ألا تقول له شيئا."

وردت أندريا في حذر قائلة:

"من الواضح انه لا يحب النساء."

"لا بد أن حياته صعبة لذلك!"

وسألته أندريا:

"ماذا تقصد بذلك؟"

ولمعت عيناه وهو يقول:

"إنني لا أدعي فهم كل تفاصيل العقلية النسائية، الا أني استطيع أن أقول مما عرفته عن النساء أن هذا الرجل من النوع الذي لا تقوى المرأة على مقاومته ولا تقولي أنك لم تلحظي فيه أشياء أخرى غير عقله لقيت أعجابك؟"

"وردت أندريا في فتور:

"أنا لا أستطيع أن أصفه بأنه وسيم، كما أن طباعه فظة."

قال جوي في لطف:

"ولكنني لا أقول عنه ذلك بالضبط، صحيح أن طريقته في الحديث ليست مهذبة مثلي، الا أنه يبدو متحضرا تماما، وأعتقد أنك غاضبة لأنه لم يعرك اهتماما كبيرا وهو الشيء الوحيد الذي لا تستطيع المرأة أن تقف أمامه موقف اللامبالاة."

وأحست أندريا بالغضب للحظة ولكنها أدركت أن جوي يحاول مضايقتها بالسخرية منها، ورسمت على شفتيها ابتسامة فاترة، وكأنها تعبر بها عن رأيها في هذا الحوار ثم قالت:

"يا لك من دنيء يا جوي لو انه اعترض على وجودك لما أخذت المسألة بهذا الاستخفاف."

واستطرد جوي ساخرا:

"يبدو انني ساكون في قائمته قبل أن تنتهي الرحلة،

إنني أعرف هذا الطراز من الرجال الجادين في حياتهم الذين لا يشربون ولا يدخنون والذين يحرصون على الاستيقاظ في الساعة السادسة صباحا مهما كانت ظروف الليلة السابقة ثم أنهم قبل أن يتناولوا طعام الافطار يكونون قد انتهوا من معالجة كثير من الامور الملحة ومن هنا فأنني أعتقد أنه سوف يشرف على رحلتنا كما لو كانت هجوماً لرجال الكوماندوس وربما لهذا السبب يكون عدم اشتراكك فيها أفضل لك يا عزيزتي.."

واعترضت أندريا على كلامه قائلة:

"ولكنه مرشد فقط وسيكون بيتر هو المسؤول عن الرحلة."

"من الناحية النظرية نعم، الا أن فرغسون بدأ بالفعل في وضع قواعد الرحلة وأعتقد أنه سوف يستمر في ذلك."

ومكثت أندريا فترة من الوقت تلوي أسورتها بعنف دون وعي منها، ثم التقطت أنفاسها وقالت:

"حسنا علينا أن ننتظر ونرقب الموقف أعتقد أنه كان يوماً طويلا ومن المستحسن أن أذهب الى السرير."

ونظر جوي الى كوبه الفارغ، ونهض واقفا وهو يقول:

"نعم من الافضل أن أنام أيضا حيث يتعين علينا أن نستيقظ مبكرين هل أخذت مفتاح غرفتك يا أندريا؟"

وكانت غرفة أندريا مقابلة للغرفة التي يقيم فيها الرجلان وقد صحبها جوي الى غرفتها وفتح بابها قائلا:

"لا تقلقي يا أندريا.. أتوقع أن نتمكن بيتر وأنا من اقناع فرغسون بتغيير رأيه."

وردت أندريا في شك:

"آمل ذلك، طبت مساء يا جوي."

"طبت مساء، نوما هنيئا."

٤ - من يخاف الدكتور فرغسون؟

وفي صباح اليوم التالي، هبطت أندريا من غرفتها الى المطعم لتناول الافطار، وكانت ترتدي قميصا قطنيا خفيفا ورديا، وسروالا من القطن الازرق على أحدث طراز وحذاء بنفسجيا خفيفا مرن النعل من الطراز الاسباني وكانت ثياب أندي بهيجة وعملية في الوقت نفسه وكانت أيضا قد استبدلت ساعتها الدقيقة الانيقة بساعة أكبر وارخص وحرصت على وضع كمية كبيرة من بودرة التلك في حذائها ولكنها لم تكن قد أزالت طلاء أظافرها وما زال العطر الفرنسي الثمين يفوح منها أما شعرها فقد ثبتته خلف رأسها بشريط يناسب لون قميصها.

سبقها الى قاعة الطعام شقيقها، بيتر وصديقه وزميل رحلته جوي وأثناء تناولهم الطعام تساءل جوي:

"ترى كيف يمكن أن نجد حال الطريق الداخلية في هذه البلاد؟"

وكان بيتر كعادته مشغولا بمطالعة الصحف ولكنه عندما سمع ذلك رفع عينيه عن الصحيفة وقال:

"ستكون حسنة جدا حسب ما أعتقد. ذكر فرغسون أنه ينبغي أن نصل الى سانغي موسانغ في الساعة الثالثة تقريبا."

ورد جوي ساخرا:

"أعتقد أنه كان من الأفضل لو أننا ركبنا طائرة فان

ركوب سيارة لمدة ثماني ساعات في هذا المناخ لن يكون نزهة مرحة في أية حال، فكيف اذا كانت هذه السيارة عبارة عن سيارة جيب عتيقة."

وحاولت أندريا أن تخفف من وقع هذا الاحساس وقالت:

"ربما لا تكون الرحلة سيئة بهذه الدرجة خاصة اذا كانت الطريق مرصوفة وفضلا عن ذلك فأننا سوف نتمكن على الاقل من مشاهدة الكثير من أجزاء هذه البلاد أكثر مما لو كنا محلقين في الجو."

وابتسم جوي وقال لها:

"سوف تسعدين بالجلوس الى جانب فرغسون طوال اليوم، انها فرصة قد تثير أي فتاة."

وأشارت الى نفسها ثم نظرت اليه قائلة:

"ولكن ليست هذه الفتاة، إنني أفضل الجلوس في المقعد الخلفي معك."

وفي الساعة السابعة تماما وصل فرغسون لاصطحابهم، ولم يكن في سيارة جيب عتيقة كما زعم جوي من قبل ولذلك فأنه لم يتمالك نفسه من أبداء الدهشة عندما شاهدوا جميعا السيارة البنية اللون ذات السقف المتحرك التي كانت تقف خارج الفندق وقال جوي في أعجاب:

"يا لها من سيارة جميلة."

ولم تجد أندريا من الضروري بالنسبة لها أن ترفض أحقيتها في الجلوس في المقعد الامامي لأنه لم يعرض عليها ذلك بل على العكس فتح لها الدكتور فرغسون الباب الخلفي وكان واضحا أنه وافق على مرافقتها لهم في هذه الرحلة بقدر ضئيل من الحماسة والاهتمام. وكانت هي تبادله المشاعر نفسها.

وكان بيتر وجوي يرتديان سروالين من القطن المتين الكاكي وقميصين تأثرت الوانها بفعل الشمس وهي الملابس التي اعتادا ارتداءها للعمل. أما الدكتور فرغسون فرغم

أنه لم يكن يرتدي ربطة عنق الا أنه كان يبدو متجها الى العمل في معمل مكيف الهواء اذ بدا وكأنه تسلم قميصه وسرواله الابيض من أفضل مؤسسة لغسل الملابس وكيها في سنغافوره وكانت جواربه أنيقة أيضا وحذاءوه لامعا٠ وعلى عكس الرجلين الاخرين بدا كأنه أخذ حماما باردا لتوه، بينما كان باديا على الرجلين الاخرين الشحوب الذي يتسم به الاوروبيون الواصلون منذ فترة وجيزة ليواجهوا هذا المناخ الاستوائي٠

وقد عبر الجميع بالسيارة الطريق المعبد الذي يربط سنغافورة بداخل المدينة وراء سيارة لوري صينية محملة بسماد مصنوع من مخلفات الاسماك يتميز برائحة كريهة للغاية٠

وكانت مضائق غوهور تلمع في ضوء الشمس الساطع صباحا، والسماء زرقاء صافية تشعرك أنك تعيش جو عطلة منعش٠

وعندما وصل الدكتور فرغسون الى ما بعد مدينة غوهور باهرو، ضغط بقدمه على مقدمة دواسة السرعة في السيارة، فاندفعت بقوة ووصلت سرعتها الى سبعين كيلومترا في الساعة، وكان النسيم البارد الداخل عبر واجهة السيارة يلطف الحرارة٠

ورغم أن الدكتور فرغسون كان يقود السيارة بسرعة الا أنه لم يكن مستهترا وكانت أندريا تتطلع الى يديه البنيتين وهما تلمسان برفق عجلة القيادة وكان يستخدم أجهزة السيارة بمهارة ويمسك عجلة القيادة في الوضع الصحيح، ولم يكن ينحني يمينا أو يسارا بسرعة خارقة حتى لا يؤثر ذلك على أطار السيارة كما يفعل جوي بطريقته التي تنم عن عدم اكتراث٠

وفي الساعة الحادية عشرة أوقف سيارته على جانب طريق بجوار مزارع المطاط المعتمة ووجه حديثه اليهم قائلا:

"يمكنكم أن تستريحوا في هذا المكان اذا شئتم لمدة خمس دقائق اما أنا فسأحضر لكم سلة الغداء٠"

وخرج بيتر من السيارة وخرج جوي وأندريا من الناحية المقابلة وسألها جوي بعد أن ابتعد قليلا عن السيارة :

"الا تزالين غاضبة؟"

وهزت أندريا كتفيها قائلة:

"الغضب لا يفيد ومالم يصمم بيتر على رأيه فلن يكون هناك الكثير مما أستطيع أن أفعله٠"

"ولكني لا أوافقك على ذلك لم تحاولي بعد تجربة التأثير بنفسك" وردت أندريا في أسى وهي تضع يديها في جيبها :

"الدكتور فرغسون ليس الشخص السريع التأثير٠"

والمح اليها جوي قائلا:

"من يعرف ربما يكون هذا المظهر الجاف الذي يبدو به الرجل مجرد واجهة فقط، أما ما يخفيه وراء هذا المظهر فهو شيء آخر٠"

ونظرت أندريا اليه متشككة وقالت:

"أشك في ذلك أنه يبدو لي صلبا مثل حجر الغرنيت٠"

"ربما وربما لا ، الا انه ليس هناك الكثير من الرجال الذين يستطيعون مقاومة فتاة جذابة اذا ما عقدت العزم وأذا اخذتني أنا كمثال فأنا أيضا لست الشخص السريع التاثير الا في أوقات معينة ولكني لا أستطيع يا عزيزتي أن أصمد أمامك٠"

"ما الذي تحاوله يا جوي هل تريد أن تقوي معنوياتي المنهارة؟"

"كلا إنني أعني ما أقول فعلا٠٠"

واستطرد جوي قائلا:

"لو تلقيت بعض التشجيع منك٠٠ فسوف أستسلم نهائيا!"

وتوقفت أندريا ونظرت اليه نظرة طويلة وقالت:

"أوه· لا تمزح كنت طوال الرحلة بالطائرة تغازل المضيفة بطريقة جنونية·"

"نعم ولكنني لم أكن في حماسي المعتاد وكان ذلك أيضا قبل أن أشخص حالتي بصدق، وأعتقد أنني لم أكن في حالتي الطبيعية لفترة ولكن الامر لم يستمر حتى الليلة الماضية، حينما أدركت لماذا لم اكن في حالتي العادية··"

ولم تعرف أندريا كيف ترد عليه وكانت ترى أنه بالتأكيد غير جاد، ولذلك فضلت أن تظل على صمتها بينما أستطرد جوي قائلا:

"عندما انضممت الينا في بادىء الامر وجه بيتر الي تحذيرا بأنه سوف يمزقني أربا لو حاولت الاقتراب منك ولم أكن أرحب بذلك لأنني أتجنب القيام بأية تصرفات طائشة مع الفتيات دون السابعة عشرة ألا أن الموقف تغير الآن فانا لا أقوم بعمل طائش ثم أنت أيضا كبرت ونضجت وأتمنى أن تفكري جيدا فيما قلته الآن لك فهل تعدينني بذلك؟"

وفي هذه الحظة أطلق بيتر صفيرا معينا يعني استدعاءهما للعودة الى السيارة مرة أخرى وعندما عادا كان الاثنان الآخران قد شرعا في تناول طعام الغداء الممتاز الذي أعده لهم الدكتور فرغسون·

وكانت أندريا مرتبكة تماما بسبب هذا الموقف غير العادي الذي أفصح عنه جوي لدرجة أنها لم تشترك في الحديث الدائر بينهم بل كانت غافلة تماما عما يدور حولها، وانتابها مشاعر الحيرة وتساءلت فيما بينها وبين نفسها:

"ما الذي يعنيه جوي بالضبط أن ما قاله هو اعطني بعض التشجيع وسوف أستسلم لك تماما·· ألا أن مثل هذا التصريح الواضح يمكن أن يفهم بأكثر من طريقة واحدة·"

وعندما بدأت المرحلة الثانية من الرحلة في السيارة جلس جوي في المقعد الامامي بجوار الدكتور فرغسون بينما

انضم بيتر الى شقيقته في المقعد الخلفي· وكان الطريق في بعض الاحيان يبدو ممهدا عبر قرى واسعة تحفها من الجانبين مزارع المطاط او الارز وفي بعض الاحيان كانت السيارة تشق طريقها فوق التلال الشديدة الانحدار عبر غابات ممطرة دائمة الخضرة الكثيفة لدرجة أنه لم يكن من المستطاع لشعاع من ضوء شمس ان يتسلل عبر الجزء الاعلى المتشابك الاغصان الذي يعلو رؤوسهم·

وأخيرا وصلت السيارة الى مدينة سونغ موساغ الشمالية الصغيرة وكان الوقت عصرا· وكانت الاستراحة الحكومية التي سيمضون فيها الايام القليلة التالية تتكون من طابق واحد، وكانت مشيدة من خشب البلوط على أعمدة خرسانية سميكة، وفيها شرفة واسعة تحيط بها من كل جانب·

وعندما دخلت السيارة عبر البوابة خرج صبي للمساعدة في حمل الامتعة·

الا أنه عندما بدأ في حمل حقيبة أندريا من صندوق السيارة أوقفه الدكتور فرغسون قائلا:

"لا·· لا تأخذ هذه الحقيبة ياليم·"

واتجه الى أندريا قائلا:

"أذا كنت تنوين البقاء مع أسرة باكستر أثناء وجودنا في جولتنا داخل البلاد، فربما من الافضل يا انسة فليمنغ أن تتجهي اليهم الآن مباشرة، واقترح أن نذهب بالسيارة الى هذه الاسرة الآن·"

وردت أندريا في احتجاج:

"لكنني أفضل أن أبقى هنا وربما لا اجد في نفسي القدرة أن أفرض وجودي على اناس لا أعرفهم ولا يعرفونني، ثم أنني لن أشعر بالراحة بينهم على الاطلاق·"

وعقب الدكتور فرغسون على الحديث قائلا:

"الملايو ليست مثل أنكلترا يا انسة فليمنغ، سوف تجدين

أن الاوروبيين هنا بعيدا عن بلادهم يتسمون بروح الضيافة أكثر مما لو كانوا في بلادهم. معظمهم يسعده جدا أستضافة زائرين وخاصة في هذه المنطقة الصغيرة النائية التي لا يتردد عليها الناس الا نادرا".

وأصرت أندريا على رأيها ونظرت الى بيتر ليؤيد موقفها ثم قالت:

"في أية حال، أنني أفضل البقاء هنا في الاستراحة".

والتفت بيتر الى الدكتور فرغسون وسأله:

"هل هناك سبب يمنع بقاءها هنا يا فرغسون؟"

وهز الطبيب كتفيه العريضتين، وقال:

"لا .. ليس هناك أي سبب أثناء وجودكما هنا معها .. ولكن الامر يختلف بعد أن نغادر المكان، ولذلك فانني لا أنصح بوجودها هنا".

وتساءل جوي:

"ولم لا؟ أعتقد أن هذه الاماكن تشبه الفنادق الى حد بعيد".

ورد الطبيب قائلا:

"نعم انها كذلك، لكنها تستخدم بصفة أساسية كأمكنة لمبيت الرجال الذين يعبرون هذه الطريق ليلا فقط والاحتمال هو أن الآنسة فليمنغ أما أن تبقي بمفردها معظم الوقت أو انه سوف يتسع امامها المجال لممارسة لعب البوكر وتناول الشراب بدرجة كبيرة".

وقال جوي بطريقة غير مهذبة:

"إن ذلك لن يضايقها، فقد اعتادت على طريقتي العابثة".

وترددت أندريا بعض الوقت ثم قالت في هدوء وحزم:

"أنا آسفة لكن من السيء تماما أن ابقي هنا، بينما تتجهون انتم الى الاحراش، الا أنه ليس من الصعب أن تتوقعوا مني أن أفرض نفسي على غرباء. المسألة ليست يوما او يومين فقط فسوف تبقون ثلاثة أسابيع ... على الاقل، وأذا

لم أستطع البقاء هنا في الاستراحة سأعود فورا الى انكلترا، وأنني أعني ما أقوله يا بيتر".

ومضى جوي قائلا:

"وأنا أتفق معها. آندي لم تعد صغيرة، ما زالت على غير اقتناع بالأسباب التي تدعو الى عدم مواصلتها الرحلة معنا لماذا أذن لا تأتي؟"

قال بيتر بعد أن فكر مليا عدة لحظات:

"أعتقد أن شقيقتي لها وجهة نظرها فكما تقول سوف نبقي بعيدا لفترة طويلة، وأنه لأمر غير مريح للشخص أن يشعر بانه مدين للناس".

ورد فرغسون في أيجاز:

"حسنا ولكني بالتأكيد سأطلب من أسرة باكستر أن ترعاها".

وبعد أن أستبدل الجميع ملابسهم اتجه معهم بالسيارة الى بيت أصدقائه في الريف حيث كانوا يتوقعون وصولهم في تلك الليلة لتناول العشاء.

وفي الحديقة الانيقة كانت امرأة ترتدي فستانا من قماش منقوش بالزهور تتحدث الى كيبون وهو صبي هندي وعندما سمعت صوت السيارة اتجهت ناحيتها ولوحت بيديها محيية.

"عدتم مبكرين لم نكن نتوقع حضوركم ألا عند غروب الشمس. هل كانت رحلتكم موفقة".

"نعم أشكرك يا مارغريت كيف حالك؟"

ولأول مرة رأت أندريا ابتسامة الدكتور فرغسون وكان ذلك بمثابة صدمة صغيرة لها وفجأة رأت ابتسامة عريضة على فمه وشعرت أنه يبدو شخصا مختلفا تماما.

أما الانسة باكستر التي بدت في أواخر العشرينات من العمر كانت متوسطة الطول رياضية المظهر ذات سمات عادية الا أن شعرها كان معقوفا من الخلف ولم يكن لديها على مايبدو أحساس سليم بأناقة المظهر.

وبعد أن تم التعارف بينهم قالت في سرور:

"تفضلوا الى داخل البيت أتوقع أنكم بحاجة الى شراب هل تفضلون الشاي أو أي مشروب بارد؟"

ظل الحديث الذي دار بينهم لفترة من الوقت حديثا عاما. ولكن بعد أن أن قدمت اليهم آما وهي خادمة صينية الشاي وكانت ترتدي سروالا من قماش الساتان الاسود وبلوزة قطنية بيضاء عندئذ دارت بين الرجلين مناقشة حول الرحلة وأستدارت الانسة باكستر الى أندريا قائلة:

"من أي مقاطعة في أنكلترا أتيت يا أنسة فليمنغ؟"

"جئت من لندن."

"أوه يا عزيزتي... أخشى أن تجدي سونفي موساغ كئيبة جدا بالنسبة الى لندن.التسلية الوحيدة التي نستطيع أن نقوم بها لك هنا هي نادي السباحة والسينما."

وسألتها أندريا:

"هل تجدين في هذه المدينة شيئا كئيبا؟"

وأوضحت الفتاة الاكبر سنا وقالت:

"لا.. ولكنني ولدت في الملايو" ونظرت الى الدكتور فرغسون ثم استطردت:"

"وكذلك جيمس."

"حقا أذن فأنت تعرفينه طوال حياتك؟"

وهزت الآنسة باكستر رأسها بالنفي قائلة:

"كلا.. ولد جيمس في باهانغ ولكنه أمضي معظم فترة شبابه في الدراسة في انكلترا واستطعنا الهروب الى استراليا، ورغم أن ابي كان يعرف والده ألا أنني لم أتعرف على جيمس الا بعد ان عاد وللقيام بهذا المشروع الاستطلاعي."

وعند هذه المرحلة أعلن الدكتور فرغسون أنه سيصطحب بيتر وجوي في الرحلة بالسيارة حول المدينة قبل أن تغيب الشمس. ولكنه لم يدع أندريا لمصاحبتهم في هذه الرحلة.

وفور خروج الرجال الثلاثة، استأذنت الانسة باكستر من أندريا لتشرف على أعداد العشاء وهكذا كانت أندريا بمفردها عندما قابلت لأول مرة الدكتور باكستر الذي وصل في سيارة عتيقة عندما كانت تجلس في الشرفة. ولم يكد يراها حتى صاح:

"أنسة فليمنغ أنا روبرت باكستر."

قالها وهو يرسم على شفتيه ابتسامة ودية مادا يده اليها.

وتساءلت أندريا في دهشة:

"كيف عرفت أسمي؟"

ورد باكستر وعيناه تلمعان بالبهجة:

"حدثنا جيمس عنك عندما أتصل بنا هاتفيا من سنغفوره ليلة أمس لكنه للاسف لم يحدثنا عن الجمال ولو ذكر لنا كم أنت جميلة، لكنت أتيت مبكرا عن هذا الموعد."

وضحكت أندريا وقالت:

"أوه شكرا."

وكانت تتساءل بينها وبين نفسها ترى كيف وصفها الدكتور فرغسون لهما؟

ثم ظهرت الخادمة الصينية مرة أخرى وطلب منها الدكتور باكستر أن تحضر له كوبا من مشروب بارد وعصير ليمون مثلجا.

"أذن فأنت ممثلة تليفزيونية؟"

"لست ممثلة بالضبط."

وشرحت أندريا العمل الذي تقوم به ووجدت من السهل جدا أن تدير حوارا ممتعا وعذبا مع هذا الرجل وذلك على خلاف ما حدث مع الدكتور فرغسون الذي لم يكن ينظر اليها الا في شيء من التحفظ وبكثير من الاستخفاف والاستهانة فما أبعد الفارق بين الرجلين.

وكان وجه الدكتور باكستر مفعما بالدفء والاهتمام وكانت

الخطوط التي حول عينيه هي الارجح نتيجة لابتسامة متكررة تعلو وجه شخص يعيش في بلد يغمره ضوء الشمس الساطع.

وكانت الشمس قد بدأت تنحدر نحو المغيب. وفي ذلك الحين انتشر في الحديقة ذلك الضوء الاخضر الغريب الذي سبق أن رأته عند هبوطها الى هذه البلاد والذي عرفت من قبل أنه ينبيء بدخول الليل.

وفجأة عندما كانت أندريا تنظر الى السماء شهدت مجموعة كبيرة أشبه ما تكون بالطيور الضخمة وكانت تحوم فوقها، وظلت لفترة من الوقت تحدق بها دون أن تستطيع تحديد نوعية هذه الاشياء ولذلك فأنها لم تلبث أن تساءلت:

"ما هذه الاشياء" وقال الدكتور موضحا:

"أنها ثعالب طائرة، أنها في الحقيقة نوع من الخفافيش وهي تنام في الغابة طوال النهار، ثم تظهر عند الغسق بحثا عن الفاكهة، وسوف أبحث لك عن نظارات مكبرة حتى تستطيعي رؤيتها بصورة أقرب وأوضح."

الا أنه قبل أن يفعل ذلك عادت الخادمة الصينية تحمل المشروبات التي طلباها، وكانت تتبعها الانسة باكستر التي قالت:

"أوه.. هل عدت يا أبي لم أسمع صوت السيارة."

كانت الانسة باكستر قد أستبدلت ثوب القطن بآخر من الحرير المطبوع وكان هذا الثوب في رأي أندريا يلائم سيدة متزوجة. واستطردت الانسة باكستر قائلة:

"من الافضل أن تأخذ حمامك الآن فورا، فإن الاخرين سوف يعودون حالا."

"أوه، حسنا يا عزيزتي."

وأستأذن الطبيب خارجا، وأخذ معه كوب شرابه بينما جلست الآنسة باكستر وقد فردت منديلا أحمر اللون يحتوي على بعض أشغال الابرة.

وسألتها أندريا بأدب:

"ماذا تصنعين؟"

وبينما كانت الخادمة الصينية تشعل مصباح الغاز، كانت الآنسة باكستر تمسك بيجامة طفل، وهي تقول:

"انني أشتغل كمية كبيرة من أعمال التطريز من أجل دار الايتام هل تحبين الحياكة والتطريز يا أنسة فليمنغ؟"

وأجابت أندريا:

"اعددت قليلا من ملابس الشاطيء ولكنني لست ماهرة جدا انني أشتري معظم ما أريد أرتداءه. هل هناك متجر لبيع الثياب في سونغ موسنغ، أو أنه يتعين عليك أن ترسلي لشرائها من سنغافورة؟"

"كلا، انني أتعامل مع حائك ثياب هندي وهو الذي يقوم بتجهيز ملابسي."

وكانت عينا الآنسة باكستر ترمقان ساقي أندريا الناعمتين، وكان رداؤها ذا تنورة طويلة تجذبها فوق ساقيها عندما تهم بالجلوس وربما لم تكن تفعل ذلك قصداً الا أنها جعلت أندريا تشعر بأن الكشف عن ركبة المرأة شيء غير مستساغ.

وساد بينهما صمت يشوبه الارتباك. ولم تتخلص اندريا من هذا الارتباك وتشعر بالراحة الا بعد عودة الرجال الثلاثة.

وعند الساعة العاشرة عندما كانت الآنسة باكستر تبحث عن شيء ما في غرفتها وبينما كان بيتر والطبيبان يناقشان بعض المسائل السياسية في الملايو، ربت جوي بيده على ذراع أندريا وقال:

"هل تحبين القيام معي بنزهة حول الحديقة؟"

وهزت رأسها بالايجاب لأنها كانت تتوق الى معرفة ما دار بين شقيقها والدكتور فرغسون بشأن اصطحابها معهم الى الغابة وعندما سألت جوي، قال:

"للأسف أثار بيتر المسألة مع فرغسون لكنه كان مصمما على رأيه وفي الحقيقة أعتقد أنه اقنع بيتر بأنه سيكون من الخطأ اصطحابك معنا."

وردت أندريا في أستغراب شديد:

"يا له من رجل بغيض ترى هل أستطيع أن أضمن وقوف الدكتور باكستر الى جانبي؟"

"أنك بالتأكيد لن تستطيعي الحصول على مساندة كبيرة من الآنسة باكستر، ألم تتحدث اليك، يبدو أنها لم تستلطفك يا عزيزتي!"

قال ذلك وقد بدت في صوته رنه حزن واضحة. وانبرت أندريا لتتحدث بصراحة عن هذا الموقف فقالت:

"إنه عدم استلطاف متبادل.. أنا وجدتها صعبة المراس.. ومن الواضح أنها تنظر الي كنموذج لامرأة تفتقر الى الاتزان وتندفع وراء الرغبات."

"لعل هذا هو ما يضايقها.. إنها تخشى أن تطغى جاذبية عينيك على شخصيتها القوية."

"ماذا تعني بذلك؟"

سألته أندريا، وهي تبدو كأنها لا تتابعه، وأمسك جوي بذراعها برفق قائلا:

"يبدو أنك لست قوية الملاحظة هذه الليلة، أن الآنسة باكستر تهتم اهتماما كبيرا بالدكتور فرغسون."

"هل تعتقد أنها تحبه؟"

وأجاب جوي:

"أنني لا أقول ذلك بالضبط، ولا أعتقد أنها أسلمت قلبها له أنها فقط تريد زوجا."

"وفي أية حال، أعتقد أنهما ملائمان لبعضهما بعضا تماما."

قالتها بعد فترة من التفكير ثم أردفت:

"ولكنني لا أرى داعيا للشعور بقلق من ناحيتها، فالدكتور فرغسون لا يمكن أن يكون أكثر فظاظة معي مما هو

عليه الآن!"

واتجه جوي مع أندريا الى مقاعد متراصة تحت شجرة ضخمة في نهاية الحديقة وقال:

"ولكن من يعرف ماذا يمكن أن يحدث أذا ما كنتما معا وحدكما في الغابة؟ أن العشرة عن قرب تكون لها تأثير غير متوقع على الناس، ولا أحد يدري ماذا يمكن أن يحدث في الغد."

وتساءلت أندريا في سخرية وهي تتعمد أغاظته:

"هل تعتقد أن هذه المعاشرة القريبة يمكن أن يكون لها تأثير عليك أذا كنت بمفردك في الاحراش مع الآنسه باكستر؟"

"لا سمح الله.. إنني لا أستطيع معاشرة امرأة ذات عقلية جادة مثل هذه المرأة."

وضحكت أندريا وهي تسأله:

"هل تقصد أنني غير جادة؟"

وأجاب:

"أبدا يا عزيزتي. أعتقد أنك أكثر ذكاء من معظمهن ولكن أذا تمتعت فتاة بالذكاء يجب عليها أيضا أن تضع ذكاءها تحت قبعة طائشة."

وأدارت أندريا رأسها لتراقب ذبابة ينبعث منها ضوء وهي تحوم بين أغصان شجيرة قريبة. لم تكن تدري حقيقة مشاعرها في هذه اللحظة تماما، فلا تعرف ما أذا كانت تريد منه أن يمسك يدها أو أن يتركها. ولم تلبث أن قالت له بطريقة مهذبة:

"جوي لعله من الافضل أن نعود فربما كان في اعتقادهم أنه لا يليق بنا أن نتجول في الحديقة وحدنا هكذا.."

فاندفع جوي يقطع عليها طريق الرجعة، قائلا:

"أشك في أنهم لاحظوا خروجنا معا، ثم هل فكرت فيما قلته لك صباحا؟ قال ذلك وهو يرفع يدها ويضعها على خده برقة."

وقبل أن تجيبه كانت هناك أصوات رنين بعض النقود المعدنية خلفهما، وعندما استدارا وجدا الدكتور فرغسون يقف على مسافة قريبة منهما وكان يرتدي حذاء من المطاط ويسير فوق الاعشاب فلم يشعر أحد باقترابه، وبطريقة تلقائية سحبت أندريا يدها وشعرت بوجهها يحمر خجلا رغم أن هذا لم يبد واضحا في ضوء القمر.

وقال الدكتور فرغسون:

"سنرحل الآن يا آنسة فليمنغ".

"حقا هل سنرحل الآن؟ وقفزت أندريا فرحة واتجهت الى البيت".

كانت سعيدة بمقاطعته خلوتهما، الا أنها كانت في الوقت نفسه تشعر بالضيق بسبب رد فعلها الذي اتسم بالتوتر والشعور بالذنب بعدما رآها مع جوي. صحيح أنها لم ترتكب خطأ.. ولكنها قفزت كما لو كانت لصا فزعا.

وعندما عادوا الى الاستراحة اقترح جوي أن يتناولوا بعض الشراب ولكنها ألقت عليهم تحية المساء واتجهت الى غرفتها، كانت قد خلعت ملابسها ووضعت الكريم على وجهها عندما سمعت أخاها وجوي يتبادلان تحية المساء في الردهة رغم أنها ظلت تستمع بعض الوقت الا أنها لم تسمع صوت الدكتور فرغسون وهو يعود الى الغرفة المجاورة لغرفتها.

واعتقدت أنه يقوم بنزهة حول الحديقة فارتدت الروب دي شامبر الحريري وتسللت من غرفتها دون أن يحس أحد بذلك. كان المصباح لا يزال مضاء في الشرفة ووجدته واقفا يستند الى السياج الخشبي، وبادرته في هدوء قائلة:

"هل أستطيع التحدث اليك لمدة دقيقة واحدة؟"

واعتدل الدكتور فرغسون في وقفته واستدار لها، والتقت نظراتهما ثم أومأ اليها أن تجلس وأحست أندريا أنه كان ينبغي عليها أن تستبدل ملابس نومها برداء آخر، فربما

يكون من غير المناسب في سونغي موسنغ أن تتحدث امرأة الى رجل وهي في هذا الزي ولكنها كانت معتادة على لقاء جوي وأصدقاء أخيها الآخرين عندما يزورونها في الشقة في أي ساعة من الليل أو النهار ولذلك لم تخطر لها هذه الفكرة من قبل وقالت:

"أشعر أنني أدين لك بالاعتذار يادكتور فرغسون وأخشى أنني لم أكن مهذبة بالدرجة الكافية عندما تقابلنا لأول مرة".

ولم يجبها على الفور. وشعرت أندريا أنها لم تقابل في حياتها شخصا لا يمكن أن يتعرف الأخرون على حقيقة مشاعره بهذه الدرجة وبعد فترة قال لها في نبرة خالية من أي تعبير:

"أرجو ألا تزعجي نفسك بذلك يا آنسة فليمنغ".

"ولكنها الحقيقة.إنني أشعر بالقلق لقد بدأنا تعارفنا بطريقة غير مناسبة، وربما كان هناك سبب في أنك لا تريد مصاحبتي لكن أرجوك، هل يمكن أن تعيد النظر في قرارك هذا؟"

ورد في إيجاز:

"آسف.. لا أستطيع".

وتساءلت في رجاء:

"ولم لا! عاشت المرأة في الغابة، وما رأيك في الارهابيين الصينيين خلال فترة الطوارىء كان بعضهم من النساء وقد عاشت هذه في الغابات لسنوات طويلة".

"فعلن ذلك لأنه لم يكن لديهن أي خيار آخر!"

وابتسمت له وهي تقول:

"وما رأيك في المرأة التي كانت تقوم برحلات استكشاف في أميركا الجنوبية؟ على الاقل ليس هناك صيادون قتلة يقطعون الرؤوس في الملايو".

وفي النبرة المحايدة نفسها أجابها قائلا:

"ولكن هناك مخاطر أخرى كثيرة وفي أية حال فلا يمكن أن تقارني نفسك بالمستكشفين المحترفين يا آنسة فليمنغ.

ولو كنت عالمة مؤهلة لأصبح الموقف مختلفا ولكنني حسب ما فهمت فإن مهمتك تتعلق بالناحية الشكلية وهي مجرد أضفاء المظهر الجمالي على هذه الرحلة٠"

وإزاء هذا الرأى الذي واجهها به، أصبحت لهجتها أكثر حدة الى حد ما، وإن حرصت على ألا تفقد أعصابها تماما٠ واستطاعت أن ترسم على شفتيها ظلال ابتسامة، وهي تحاول أن توضح الأمور بقولها:

"ولكن ما نقوم به ليس مشروعا علميا يا دكتور فرغسون، إننا نعد أفلاما لكي نسلي الناس ولكي نكسب رزقنا، إن تكاليف السفر بالطائرة من لندن الى سنغافوره باهظة للغاية، وسوف تضيع تكاليف سفري هباء اذا لم أشترك في الفيلم الجديد٠"

ورد الدكتور فرغسون في جفاء:

"ولكنك أن فعلت، فقد يؤدي ذلك الى خسارة مادية أعظم٠"

"ماذا تعني بذلك؟"

"أقصد أنه يتعين علينا أما أن نضيع وقتا في إعادتك الى هنا بعد يومين على الاكثر، وأما إذا استطعت البقاء معنا فإنك بالتأكيد سوف تنهين الرحلة وأنت في حالة صحية غير طيبة تتطلب دخولك المستشفى٠"

"ولكنني قوية كالحصان، ولم يحدث أن مرضت في حياتي٠"

وفجأة سقط من العوارض الخشبية التي تعلوهما شيء على الأرض بالقرب من قدميها، وقفزت أندريا من مكانها بصورة تلقائية، لترى سحلية ذات عينين لامعتين، وذهلت أندريا مما حدث فورا بعد أن سقطت السحلية على الحصيرة اذ اختنق صوتها ثم ابتعدت فزعة مسرعة كالفأر٠

وقال لها الدكتور فرغسون في سخرية:

"إنها مجرد سحلية، غير ضارة وسوف تحتاجين الى أعصاب أقوى عندما تكونين في الأحراش يا آنسة فليمنغ والآن أقترح أن تذهبي الى السرير وقد طلبت أن يتم تجهيز الإفطار

في السابعة صباحا٠ طبت مساء٠"

وفي تلك الليلة شعرت أندريا بخيبة أمل شديدة٠٠ كانت تعتقد أنه باستطاعتها إقناع فرغسون بوجهة نظرها وحمله على تغيير رأيه في عدم اصطحابها معهم، ورغم أنها تماسكت أمامه محاولة إخفاء مشاعر الاحباط التي انتابها، إلا أنها كانت تشعر فعلا بالحنق تجاه هذا الطبيب الذي فرغ قلبه من أية مشاعر إنسانية٠

وظلت أندريا فترة طويلة تفكر في الحوار الذي دار مع فرغسون٠ قد يكون على حق بعض الشيء في امتناعه عن خطورة اصطحابها معهم نظرا للظروف الصعبة التي تتسم بها حياة الأدغال٠ إلا أن الطريقة المتعالية التي كان يتحدث بها كانت تثير فيها رغبة جامحة للانتقام منه وتحديه٠ إن أكثر ما كان يضايقها هو نظرته اليها على أنها مجرد عامل مظهري في مهمة فريق الرحلة من الممكن الاستغناء عنه، وكان ما يقلقها أكثر هو فشلها في الحصول على تأييد ومساندة الآخرين لوجهة نظرها. تبلورت كل هذه المشاعر في هدف واحد هو أنها لن تستسلم أبدا٠٠ وسوف تثبت للجميع أن بوسع المرأة أن تكون عاملا إيجابيا لا غنى عنه٠

وفي اليوم التالي بعد الظهر كانت أندريا وشقيقها يجلسان تحت مظلة في الحديقة بنادي سانغوي موسانغ، يشاهدان الآنسة باكستر والدكتور فرغسون يلعبان التنس تحت وهج الشمس الحارقة٠ وتساءل بيتر في دهشة:

"كيف يتحمل الاثنان هذا الحر اللافح؟ بينما كانت الكرة تقفز وتعود فوق الشبكة واللاعبان بملابسهما البيضاء يقفزان بنشاط في الملعب المليء بالتراب٠

ومسح عنقه بمنديله رغم أنه كان مسترخيا في كرسيه، ويرتدي فقط ملابس البحر وصندلا٠ كان الجو حارا لدرجة أن صدره كان يتصبب عرقا، ووجهه يبدو متوهجا وصاح قائلا:

"يا لها من ضربة خلفية رائعة. عندما أعادت الآنسة باكستر الكرة الى خصمها بضربة قوية."

وتحدثت أندريا في صوت خفيض وهي تشرب كوبا من عصير الليمون، فقالت:

"إذن قررت بصفة نهائية أن تتركني هنا؟"

وكانت هذه هي الفرصة الاولى التي تتاح لها لكي تتحدث الى أخيها بمفردها، لأن الرجال الثلاثة كانوا قد أمضوا طوال الفترة الصباحية يفحصون أجهزتهم ومعداتهم، وكان عليها هي أن ترافق الآنسة باكستر لشراء بعض الحاجيات.

ونظر اليها بيتر نظرة تنم عن عدم الارتياح، وقال:

"اخشى أن يكون ذلك هو الوضع يا آندي. حاولت حمل فرغسون على تغيير وجهة نظره، ولكنه رفض حتى مجرد بحث الفكرة والآن، وبعد أن عايشت هذا الطقس هنا، فأنني أميل الى الاقتناع برأيه."

"ولكنني لا أشعر بالحرارة بالدرجة التي تحسها.. كما أن الدكتور باكستر لا يعتقد أن هناك ما يمنع من مصاحبتي لكم. قابلته صباح اليوم وسالته عن ذلك، إن حقيقة الأمر هو أن الدكتور فرغسون لا يحبني، هذا هو كل ما في الامر بكل بساطة."

"إنه لأمر سخيف يا آندي، أعتقد أنه ليس هناك جانب شخصي في مسلكه معك وكيف يمكن أن يكون هذا إنكما لم تتعرفا الا هنا.. كلا.. وأرى أنه يعتقد باخلاص أن هذه الرحلة سوف تكون قاسية جدا بالنسبة اليك."

وأصرت أندريا على موقفها وهي تقول:

"ولكنك أنت نفسك ذكرت منذ وهلة أنه لا يعرفني ولذلك فكيف يمكن له أن يحكم علي، صحيح أنني لا أبدو قوية جدا ولكنني لم أشكل له عقبة في أي يوم من الايام في أي رحلة من تلك الرحلات التي قمنا بها."

"ليست هذه هي المسألة يا آندي، إن ما لا تدركينه هو أنني اذا صممت على مجيئك معنا فان فرغسون قد يتخلى عن المشروع كله. ألمح الي بذلك بشكل أو بآخر عندما أثرت الموضوع معه بالامس."

"حسنا اليس هناك شخص آخر يستطيع أن يكون مرشدا لنا؟"

"أشك في ذلك، في أية حال فالوقت متأخر الان لكي نغير خططنا.أسف يا عزيزتي."

وعلى مقربة منهما، ظهر جوي خارجا من حمام السباحة في النادي، وسأل:

"ألا تنويان السباحة؟"

قال ذلك وهو يمشي على الحشائش الحديقة لكي يلحق بهما."

وأجابه بيتر قائلا:

"نعم، حالا، في ظرف دقيقة واحدة وهؤلاء هم الآخرون قد أتوا."

ونهض بيتر واقفا عندما أقبلت عليهم الآنسة باكستر ووالدها الطبيب وقالت مارغريت باكستر:

"ألا يريد أحد منكم أن يلعب مباراة، إنني أضع مضارب التنس تحت تصرفكم"، كانت ببساطة قميصها القطني الابيض وتنورتها القصيرة تناسب قوامها الرياضي القوي أكثر مما تناسبه ثيابها المعقدة."

ورد بيتر آسفا:

"أخشى ألا تكون لنا قدرتك على اللعب إنك لاعبة ماهرة."

وهزت كتفيها قائلة:

"يجب أن يحافظ الانسان على لياقته.أن أوروبيين كثيرين هنا يهملون أنفسهم حتى توهن أجسادهم، هل تلعبين يا آنسة فليمنغ؟"

"أخشى ألا أعرف.. لقد تعلمت هذه اللعبة في

المدرسة ولكنني لم أتقنها؟· وردت الفتاة الاكبر سنا ·
"سأقوم بتدريبك بعض الوقت إذا شئت، وسيكون ذلك مسليا لك أثناء تغيب الرجال عنا ·"
"أشكر لك اهتمامك وعطفك ·· الا أنني لا أعتقد أنني أميل الى التنس!"
وتدخل جوي وقال في كسل بعد أن أطفأ سيكارته:
"لا بأس يا عزيزتي، لديك مواهب أخرى كثيرة إنني ذاهب الى الماء مرة أخرى تعالي واسبحي معي ·"
"حسنا ·"
ونهضت أندريا من مكانها وخلعت السترة التي كانت تغطي لباس البحر، وعندما كانت تهم بارتداء غطاء الرأس، أحست أن الآخرين يتطلعون اليها، فشعرت بشيء من الخجل ·
وكانت مياه حوض السباحة فاترة وتفوح منها رائحة الكلور · ولم تنتظر أندريا طويلا، وإنما قفزت على الفور الى الحوض وتبعها جوي الذي ظل يعوم ويغطس خلفها حتى وصلا الى منطقة قليلة العمق وعندئذ التفت اليها جوي قائلا:
"إسمعي يا أندريا، أريد أن أقول لك شيئا، إنك قد تكونين عاجزة في ساحة التنس ولكنك قوية ماهرة هنا ·"
"قال ذلك وهو يحاول اللحاق بها ·
وضحكت أندريا وقالت له:
"لم تكن تسبح كما يجب، ولا شك أنك تستطيع اللحاق بي بسهولة اذا أردت ·"
"ربما ولكنني لست مستعدا هذه الايام للدخول في مسابقات لسباحة المسافات الطويلة ·"
"إذن عليك أن تمارس حياة معتدلة أكثر ·"
"فعلا، يجب أن أفعل ذلك بمجرد أن نبدأ وحسب ما أتوقع، فإنني أشعر أننا سنعيش على لحوم البقر المحفوظة وأقراص الفيتامين ·"

وردت أندريا وهي تسبح:
"أتوقع أن تبقى حيا ·"
كانت أندريا تعشق المياه وتهوى السباحة دائما، وكانت تحس أنها تتخلص من كل مشاكلها بمجرد دخولها الى أعماق المياه في حركة نشيطة لتستكشف الاعماق القائمة · ولمحت أندريا على سطح الماء قريبا منها شخصا يسبح، كان يرتدي لباس بحر قصيرا أسود · وأعتقدت أنه بيتر، فاقتربت منه وأمسكت برسغ قدمه وجذبته · أنها لعبة طريفة طالما كانا يمارسانها، وتنتهي غالبا بسباق بينهما عبر الحوض · الا أنه في هذه المرة وقبل أن تستطيع الفرار منه، شعرت أن يدين قويتين تمسكانها من وسطها بقوة وتجذبانها الى عمق المياه، ولو كانت اليدان لشقيقها لما قاومت ولكنها شعرت على الفور أن هاتين اليدين اللتين تحيطان بوسطها ليستا يدي بيتر، وأحست بالفزع الشديد وحاولت تخليص نفسها ·· ثم هاجمتها الآلام في صدرها وأصبحت صفحة المياه سوداء في عينيها، وغابت عن الوعي وهي ممسكة بالشخص ولم تشعر الا وهي تسبح على سطح المياه مرة أخرى وهي ممسكة بالشخص الذي كان يمزح معها ·
"هل تشعرين أنك أحسن الآن؟"
سألها فرغسون في فتور بعد أن جلسا معا على طرف منصة الوثب، وبدات أندريا في التقاط أنفاسها مرة أخرى بطريقة عادية وقالت في نبرة ندم:
"آسفة اعتقدتك بيتر ·"
وكان قلبها ما زال يدق بقوة، وساقاها نال منهما الوهن · وجاءها صوته وهو يرد عليها بجفاء قائلا:
"نعم تبينت ذلك ·· ورغم أنك لا تحبينني ·· الا أنني متأكد أن لديك من الرقة ما يمنعك من محاولة أغراقي بمثل هذه الطريقة وفي مكان عام ·"

ووضع يده على معصمها، وأحس بضربات قلبها السريعة، وقال:

"لدي انطباع بأنك تكرهين أي نوع من التوتر يا آنسة فليمنغ. وعلى أية حال فانني آسف لأنني تسببت في أزعاجك، لم يكن الأمر مقصودا وأقترح عليك أن تستريحي في الظل بعض الوقت وسأطلب من الخادم أن يحضر لك فنجانا من الشاي."

وفكرت أندريا لفترة من الوقت: هل ما يقوله هو مجرد اقتراح أم أنه يصدر أوامره لها؟ لو كانت لم تخلع غطاء رأسها لقفزت مرة أخرى الى حمام السباحة.

ونهضت واقفة وسارت بعيدا وكان ظهرها مستقيما تماما. وبعد دقائق كانت أندريا تجلس تحت المظلة ثانية ومعها جوي وسألها مستفسرا:

"ما كل هذا الذي كان يدور بينكما؟ أخبريني يا آندي."

وسألته بدون أكتراث:

"ماذا؟"

"فقال تصادف أنني التفت فشاهدتك مع الدكتور ثم جلستما معا على حافة منصة الوثب ودار بينكما حديث ودي."

وفي أيجاز شديد روت له ماحدث وسألته:

"أين بيتر الآن؟"

"انه في مبنى النادي يبحث عن بعض الصحف."

ولم يكد جوي ينطق بهذه العبارة حتى لفت نظره مشهد معين، وكان أن أشار الى امرأة تتأهب للسباحة على الجانب الآخر. والتفتت اليها أندريا، كانت الآنسة باكستر التي قفزت من فوق منصة الوثب الى عمق الماء كما لو كانت في سباق مع آخرين، ثم صعدت فوق المنصة التالية وتوقفت لحظة ثم غاصت مرة أخرى وفي زحفات قوية منتظمة سبحت طول الحوض.

وخلعت أندريا غطاء رأسها وقالت، في سخرية واستياء:

"أنك أنت الذي أغرقتني تقريبا."

"ربما المزاح الخشن يمكن أن يؤدي الى عواقب خطيرة إذا كان الضحية شخصا لا يعرف السباحة جيدا."

"إنني لا أفعل ذلك مع شخص لا يعرف السباحة جيدا، وكما قلت لك أخطأتك وظننت أنك بيتر أنه يستطيع السباحة كالسمكة. ولم يكن مزاحي معه ليخيفه."

"انك تسبحين جيدا ولكنك كنت خائفة."

"نعم.. لأنني عرفت أنك أنت."

قالت هذه العبارة دون أدنى تفكير وبعدها رفع فرغسون حاجبيه مستغربا، ثم قال:

"إنك قد لا تحبينني يا آنسة فليمنغ، ولكنني لم أكن أعتقد أن هناك ما يدعو الى أن تخافي مني."

وقالت أندريا متلعثمة.

"ولكنني لم أقصد ذلك أبدا."

"إذا ما الذي تقصدينه بالضبط؟"

وجلس بعيدا عنها ينتظرردها وهو يتمدد تحت وهج الشمس وكانت كتفاه البنيتان تلمعان في ضوء الشمس، وكانت السلسلة الفضية التي يضعها حول عنقه تبرز سمات جسمه الرياضي القوي.

وقالت أندريا في ضعف:

"حسنا، أربكتني وأشعت الرعب في نفسي، وانني أكره ان أفقد رباطة جأشي واتزاني، وأعتقد أن كل الناس جميعا كذلك."

"ولكنك أنت تشعرين بذلك أكثر من الناس جميعا."

وأسندت أندريا ظهرها الى مسند كرسيها متجنبة النظر اليه وقالت بنبرة جافة.

"ما الذي تعنيه هذه العبارة؟"

وتمتم جوي قائلا:
"لا بد أن يحتفظ المرء بلياقته".
وضحكت أندريا واسترخت قليلا، وأن كان عقلها مشغولا بما حدث لها تحت الماء منذ قليل.
وخرج الخادم من مبنى النادي يحمل صينية الشاي، وقد تبعه الدكتور فرغستون الذي اتجه ناحية منصة الوثب.
وفجأة تذكرت أندريا كيف كانت منذ دقائق أسيرة له تحت سطح الماء وسرت رعشة في جسمها وأثناء ذلك تمتم جوي ببعض الكلمات وتنبهت واستدارت اليه قائلة:
"آسفة ماذا تقول يا جوي؟"
وعاد يقول بصوت واضح النبرات:
"كنت أريد أن أسألك إذا كنت ترغبين في أجراء تدليك للعمود الفقري كي تشعري بالراحة".
ونهضت أندريا لتأخذ صينية الشاي من الخادم وقد تجاهلت تماما سؤاله، ثم لم تلبث أن قالت:
"آه.. أنه الشاي.. هل تريد فنجانا يا جوي؟"
"لا.. أشكرك".
ونهضت واقتربت بكرسيها الى جواره ، فقالت له:
"جوي، أرجوك".
وفجأة، عاد بيتر مما أشاع شعورا بالراحة في اعماقها. الا انها طيلة فترة بعد الظهر كانت تشعر كلما نظرت الى جوي أن هناك في عينيه ومضة من السخرية وعرفت أنه لن يتركها وشأنها بهذه البساطة!
كان كل ما يهتم به جوي هو أن يتودد اليها محاولا استمالتها بعد أن شعر أن اهتمامها أصبح منصبا على أقناع فرغسون برايها. وكانت هي تحس أن الطريق ما زال طويلا وشاقا قبل أن تستطيع إقناع جميع من حولها بأهمية اشتراكها في المهمة التي يقوم بها فريق الرحلة. صحيح

أن علامات الضعف ظهرت عليها مرتين وكانت الأولى عندما أصابتها رجفة شديدة نتيجة سقوط سحلية الى جوارها في تلك الليلة عندما كانت تتحدث الى فرغسون. والثانية عندما كادت تغرق في حوض السباحة لولا أنه تمكن هو من انتشالها ولكنها رغم كل ذلك كانت تبدو مصممة على الاحتفاظ برباطة جأشها.
واستجمعت أندريا كل شجاعتها وقوتها، وقررت في حزم ألا تستجيب لكل محاولات الاغواء التي يمارسها جوي معها، أن ما يشغلها الآن قضية أهم بكثير من كل عواطف المرأة أنها قضية تتعلق بالتعبير عن الذات، وهي حريصة على أن تعبر عن ذاتها، مهما كانت الظروف، ومهما كان الثمن.
وفي تلك الليلة، تناولوا طعام العشاء مع عائلة باكستر مرة أخرى، ثم نشر الدكتور فرغسون شاشة وعرض عليها شرائح ملونة لبعض الصور التي كان قد التقطها في رحلة سابقة في الاحراش.
وجلست أندريا الى جوار جوي على أريكة مكتوفة اليدين حتى لا يحاول أمساك يدها، وبالتأكيد كان جوي ينظر اليها طوال الوقت اكثر مما كان يتطلع الى شاشة العرض. كانت تشعر أنه يراقبها معظم الوقت حيث كانت الغرفة شبه مظلمة، الا أنها ركزت عينيها على الشاشة وعلى الشرح الذي كان يقدمه الدكتور فرغسون عن هذه الصور.
وكانت بعض الصور عبارة عن لقطات لنساء من أهل البلاد الاصليين، وأخرى لأطفال يستحمون في النهر شكلت فيه الصخور الضخمة حمامات للسباحة قليلة العمق وشلالات متلألئة.
وتمتم الدكتور باكستر قائلا:
"انها الجنة المفقودة".
قالها عندما كان الجميع يشاهدون شريحة تبين صورة فتاة من قبيلة التاميار ذات شعر أسود ترتدي سارنغ برتقالي

اللون يلتف حول الجزء الادني من الجسم على شكل تنورة، وكانت تغسل رداء مماثلا في مياه النهر.

وقالت أندريا:

"يا له من مكان رائع، هل ستذهبون الى هذه المنطقة أثناء رحلتكم؟"

ونظر اليها الدكتور فرغسون قائلا:

"نعم.. ولكن لا تتخيلي أن هذه الصور هي نموذج للحياة في هذه الغابة"

ورفع الدكتور فرغسون الصورة من جهاز العرض، وأمضى الوقت يبحث عن صورة أخرى في الصندوق، وفي النهاية وضع صورة دفعت بيتر بمجرد عرضها الى اطلاق صفير خفيف مفاجىء.. كانت الصورة هذه المرة تمثل أمرأة زنجية ذات أنف وجبهة مشوهتين بسبب مرض مروع.

وقال الدكتور فرغسون بأسى ردا على استفسار بيتر:

"أنها حالة سيئة من داء المصع (مرض كثير الانتشار في المناطق الاستوائية)، ولكنه نظر الى أندريا مرة أخرى وهو يضيف:

"أنه مرض معد.."

وكانت أندريا تشعر بأنه تعمد عرض هذه الصورة بالذات لكي يشيع في أعماقها الشعور بالرعب، فلا تفكرفي الذهاب معهم في هذه الرحلة. كان إصراره واضحا منذ البداية على أن يتخذ كل الوسائل التي تحقق له هذا الهدف مهما كانت محاولاتها. وأدركت أندريا ذلك فانصرفت الى غرفتها.

وأمضت أندريا صباح اليوم التالي بمفردها في شرفة الاستراحة. أما الآخرون فقد توجهوا لمشاهدة منجم قصدير عند مشارف المدينة. وكان الدكتور فرغسون قد قرر بأسلوبه المتسلط المعتاد، أنها سوف تجد هذه الرحلة متعبة وغير مسلية فذهب الجميع وبقيت وحدها!

وقبل موعد الغداء بوقت قصير عاد جوي وهو يركب عجلة تريشا يقودها رجل صيني يرتدي قميصا ممزقا قصيرا وقبعة قديمة. وعندما كان جوي يصعد السلم، سألته أندريا:

"وأين الباقون؟"

"إنهم يتناولون طعام الغداء في مطعم هندي في المدينة اما أنا فغير مولع بالكاري الهندي، ولذلك فضلت أن أعود لأكون الى جانبك. لكن قولي لي بالله عليك، كيف استطعت البقاء هنا دون أن تشعري بحرارة الجو؟"

وردت أندريا وهي تحرك مروحة مصنوعة من النبات الملون:

"أعطاني الخادم هذه المروحة."

ودق جوي الجرس وعندما ظهر الصبي طلب عصير فاكهة لأندريا وكوبا باردا لنفسه.

وقال جوي:

"كان أملي أن أجدك بمفردك، لا تخافي أنني لا أقصد ملاطفتك. ربما يحدث ذلك فيما بعد، ولكن هناك أولا شيئا أريد أن أقوله لك."

وانتظر حتى أحضر الصبي المشروبات التي طلبها ثم قال:

"أما زلت حريصة على أن تأتي معنا، أم أن هذه الصورة التي شاهدتها بالامس جعلتك تعدلين عن موقفك؟"

وقالت أندريا في فتور:

"تقصد صورة المرأة المريضة المشوهة الوجه؟ أستطيع أن أقول أن عرض هذه الصورة كان شيئا مقصودا ولكنها لم ترعبني."

"حسنا، في هذه الحال، أعتقد أننا نستطيع التحايل بعض الشيء."

"التحايل.. ماذا تعني بذلك؟"

وأشعل جوي سيكارة قبل أن يرد قائلا:

"أقصد أنني فكرت في طريقة نستطيع بها حمل فرغسون

على الموافقة، فنضعه في موقف لا يكون أمامه مجال للاختيار الا اصطحابك معنا . ما رأيك أنها فكرة جريئة وجميلة، وقد لا تكونين مستعدة لتنفيذها، الا أنني أمضيت نصف الليلة الماضية وأنا أفكر فيها، وهي البديل الوحيد لتخلفك هنا وحدك..»

وتساءلت أندريا:

«ما هي الفكرة، لم تقل لي شيئا عنها بعد، جوي لا تجعل حديثك مطاطا غير قاطع، أخبرني ما هي الفكرة.»

وتلفت جوي حوله ليتأكد من أن الصبي لا يحوم حول المكان. ثم ارتشف قليلا من الكوب واقترب منها قائلا:

«حسنا .. سأشرح لك الفكرة لكن لا تقولي أنها حمقاء قبل أن أنتهي من عرضها تماما.»

٣ - عبر الغابة، وسط القبائل

وفي ساعة مبكرة جدا من صباح اليوم التالي، خارج بيت اسرة باكستر، عانقت أندريا شقيقها بيتر مودعة.

«الى اللقاء.. فلتكن رحلة موفقة.. اعتن بنفسك..»

«إلى اللقاء يا أندريا.. أنني آسف لأنك لم تستطيعي المجيء معنا.»

وبعد أن طبع بيتر قبلة على خد شقيقته أخذ مكانه في المقعد الخلفي من سيارة الدكتور باكستر.

كان على الدكتور باكستر أن يصطحب في سيارته الشبان الثلاثة مسافة خمسة أميال خارج المدينة الى منطقة كامبونغ بالملايو، حيث يدخلون من هناك الى الأحراش.

ومدت أندريا يدها الى الدكتور جيمس فرغسون وهي تحييه قائلة:

«الى اللقاء يا دكتور وحظا سعيدا.»

كان فرغسون في صباح ذلك اليوم يرتدي زيا خاصا بالاحراش وحذاء عاليا تستخدمة قوات الامن البريطانية في حالات الطوارئ كما تمكن من الحصول على زي لكل من بيتر وجوي. ورد الدكتور فرغسون:

«الى اللقاء يا آنسة فليمنغ.»

قالها بدون أن يبتسم كما فعلت هي وكانت تأمل أن تثير ابتسامتها له شيئا في نفسه إلا أنه كعادته ظل فاترا.

إن المرة الوحيدة التي أظهر فيها بعض مشاعره الدافئة، كانت حينما اتجه الى مارغريت باكستر يودعها.
وربت جوي على ذراع أندريا وقال في صوت خفيض:
"الخطة مستمرة، الى اللقاء يا أندي. اجعلي سلوكك طيبا."
ودعتها مارغريت باكستر الى الدخول لتناول القهوة بعد أن اختفت السيارة ونادت على الخادمة الصينية وأصدرت اليها تعليمات ثم عادت الى مكانها وجلست أمام مائدة الافطار وسألت أندريا:
"والآن.. ما الذي تريدين أن تفعليه هذا الصباح؟"
"أوه.. اعتقد أنني سأعود الى الاستراحة لأغسل شعري."
وقالت مارغريت:
"نعم، أنك تبدين متعبة، يحسن أن تأخذي الامور ببساطة اليوم وغدا ربما نستقل السيارة الى منطقة ايبوه، ونتسوق بعض الاشياء."
وعندما عادت الى الاستراحة، تأملت نفسها في المرآة المعلقة على الحائط في غرفة النوم، وتساءلت أذا كانت قد جنت لكي تقبل خطة جوي. وفي أية حال فات الوقت الذي كانت تستطيع فيه أن تغير رأيها.. ولو امتنعت عن تنفيذ الخطة فسوف يعتقد أن هناك شيئا خطيرا حدث، ويدق ناقوس الخطر، إلا أنه مع مضي صباح ذلك اليوم ازداد ت مخاوفها، وعندما كتبت رسالة أيضا الى الدكتور باكستر، تملكها اغراء قوي بأن تتجه الى غرفة العمليات الجراحية الخاصة به، وأن تفضي اليه بكل تفاصيل المشروع وتسأله النصيحة.
وفكرت أندريا قائلة:
"ولكن لماذا ألقي على عاتقه بهذه المسؤولية، أن ذلك لن يكون عدلا. كما أنه بهذه الطريقة أذا حدث شيء خطأ، فسوف أكون المسؤولة الوحيدة، وأذا التزمت بالتعقل،

ولم أتصرف في جنون فلن يحدث أي خطأ."
ولم يكن هناك أحد في الاستراحة، أذ توجه الصبية الى مكان اقامتهم بعد أن قدموا لها طعام الغذاء. كانت المنطقة المجاورة كلها تغط في نعاس عميق أثناء فترة مابعد الظهيرة الشديدة الحرارة.
وأغلقت أندريا حقيبتها التي تحتوي حاجياتها التي تنوي تركها وراءها. وتركت رسالتها المعنونة الى الدكتور باكستر على المنضدة عند المدخل. وفي الساعة الثانية والربع علقت حقيبة يدها على كتفها وهرعت الى اللقاء الذي كان جوي أعده لها. وحتي لاتثير الانتباه حرصت أن تظل مرتدية الملابس العادية. وبعد أن تلفتت حولها لم تجد أحدا يلاحظها، ثم رأت عربة أجرة قديمة واقفة على مسافة خمسين ياردة وعلي مقربة منها، وتحت ظل شجرة كان هناك شاب من الملايو جاثما يدخن.
وعندما اقتربت منه نهض واقفا، ونظر كل منهما الى الآخر في حذر وكان الانطباع الذي أخذته أندريا عنه مطمئنا، ورغم أنه كان أقصر منها عدة بوصات، الا أن بنيته كانت قوية، وكان مظهره يدل على الذكاء وملابسه نظيفة.
وألقى الشاب عليها تحية اهل الملايو التقليدية تابك، ومد يده اليها لكي يحمل عنها حقيبة يدها.
وبعد أن أحست أندريا بالارتياح تجاه مظهره المطمئن، ابتسمت وردت عليه التحيه قائلة: "تابك."
واقتادها الى الباب الخلفي من سيارته وكان المقعد مغطي بقطعة نظيفة من القماش المزركش ثم وضع حقيبتها في المقعد الأمامي بجواره، واستدار تجاه الناحية الاخرى كي يأخذ مكانه خلف عجلة القيادة. وعندما بدأ في ادارة محرك العربة، التقطت أندريا انفاسها بارتياح ومهما كان الامر حسنا أم سيئا فانها ماضية في طريقها.

وتنازعت أندريا مشاعر كثيرة مختلفة ومتناقضة، فالخطة التي أقدمت على تنفيذها دون تردد تعتبر بحق اختبارا لقوتها وارادتها، كانت أندريا تدرك تماما أن هناك مصاعب جمة سوف تصادفها أثناء تنفيذ الخطة ولعل أقلها خطورة اعتمادها على أشخاص غرباء عنها تماما - فمن يدري كيف سيعاملونها وهي برفقتهم وحدها أنها حتى قد تعجز عن التفاهم معهم أثناء الطريق الا أن الحافز على الاقدام على هذه المغامرة غير المأمونة كان يدفعها الى المضي دون تردد.

وكان هناك عامل واحد فقط يثير قلقها وحيرتها، أن الدكتور باكستر يعتبر نفسه الآن مسؤولا عنها بعد رحيل الرفاق الثلاثة. وغيابها فجأة عن البيت قد يدفعه الى اللحاق بها لثنيها عن القيام بهذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر، بل أن مارغريت قد تحثه هي الأخرى على ضرورة وقف هذه المغامرة واعادتها الى البيت. ان الآنسة باكستر يهمها الا تلحق اندريا بالدكتور فرغسون. فربما تصورت أن هدف أندريا هو تعقبه دائما لايقاعه في حبها.

وأمضت الليل في الكوخ الصغير في قرية تطل على مساحة مائية تقع على مسافة قريبة من القرية الاكبر التي اتجه اليها في وقف مبكر الرجال الثلاثة.

وكانت تسمع وهي راقدة في الظلام على خشية مملوءة بالنبات المجفف - صوت أمواج النهر ترتطم برفق على ضفتيه على مسافة عشرين ياردة، ومن مكان أكثر قربا خارج غرفتها مباشرة، كان هناك صوت آخر يصل الى سمعها.. أنه صوت التشخير الهادىء لاسماعيل مرشدها الذي كان يغط في نومه. ترك سيارة الاجرة عند القرية حيث قام الاثنان بتغيير ملابسهما، وتركت فستانها وصندلها لدى شقيقة اسماعيل الجميلة زاكاريا.

وكان الاثنان قد وصلا الى مكانهما الحالي عبر طريق

ضيق في غابة فرعية. وقد شق اسماعيل طريقه وهو يتسلح بآلة حادة كان يحطم بها أي عائق أرضي، الا أنه نظرا لأن الآخرين استخدموا الطريق نفسها منذ ساعات قليلة فقط فلم تكن هناك حاجة لاستخدام هذه الآلة. ومع ذلك فان الظلام حل عليهما عندما سمعا أخيرا صوت النهر أمامهما.

وكان شيخ القرية القريبة من النهر يرتبط بصلة قرابة باسماعيل.. ولم يكن يتحدث الانكليزية، الا أن مسلكه كان وديا وكانت زوجاته الثلاث مبتهجات بالهدايا الصغيرة التي قدمتها أندريا اليهن. ورغم أنها أحست كأنها في بيتها تماما بين هؤلاء الناس البسطاء الكرماء الا أنها وجدت من الصعب عليها أن تنام.

كان جوي قد دفع لاسماعيل أجر خدماته، الا أن أندريا عندما حيته مودعة في صباح اليوم التالي، وضعت في كفه مبلغا آخر مكافأة له - وكانت أندريا آسفة للافتراق عنه لأنه كان يعرف الانكليزية الى حد ما، وكان يتعين عليها من الآن أن تعتمد على القدر البسيط الذي تعرفه من لغة الملايو، بالاضافة الى التعبير عن النفس بلغة الاشارة.

وعندما تركها اسماعيل أصبحت أندريا في حماية صالح الابن الاصغر لرئيس القرية الذي كان عليه أن يأخذها عبر النهر الى مخيم آخر أكثر بعدا. وطوال هذا اليوم ظلت أندريا قابعة في زورق ضيق طويل بينما كان صالح وراءها يوجه بقوة المجاذيف المصنوعة محليا. كان شابا قويا، ولم تظهر عليه أيه علامات أعياء وهو يجذف تحت وهج الشمس إلا أن أندريا غرقت في عرقها في الحال، وكان لنظاراتها الشمسية الفضل في أنها حجبت عنها ضوء الشمس القوي المنعكس على سطح المياه.

وعلى النقيض من الضوء الساطع الذي يغمر مياه النهر، كان من المستحيل لأي شعاع أن يخترق الاحراش على

جانبي النهر. وكان النهر في معظم الطريق هادئا بطيئا، إلا أنه كانت هناك بعض الفترات التي اندفع فيها الزورق بقوة المياه الهائجة وكانت أندريا تمسك بجانبي الزورق تحسبا لاحتمال سقوطها في المياه الهائجة، الا أن ذراعي صالح القويتين استطاعتا أن تسيطرا على الزورق وأن تتجها به الى المياه الهادئة مرة أخرى.

ورغم أن الناس في القرية التالية كانوا بعيدين جداً عن الحضارة والمدنية، وربما لم يشاهدوا طوال حياتهم امرأة بيضاء، الا أنهم استقبلوها بالتحية والمودة كما فعل مضيفوها في القرية السابقة، وأوضحوا لها في اشارات متقنة أن الرجال الانكليز الثلاثة رحلوا عنهم مع مطلع الشمس لتسلق التل العالي في اتجاه الشرق، وانهم ربما وصلوا الآن الى الجانب الاخر.

وكان جوي أبلغها أنه أثناء اليومين الثاني والثالث سوف يفعل كل ما يستطيع كي يعطل مسيرة الاخرين حتى تتمكن أندريا من اللحاق بهم.. الا أنها كانت تعرف أنه يتعين عليها أن تسرع الخطى كي تلحق بهم في الليلة التالية.

وفي ساعة مبكرة جدا من الصباح التالي، بدأت هي وصالح في تسلق التل، وكان الوقت قد تجاوز الظهيرة عندما وصلا الى قمة التل ورغم أن صالح كان يحمل عنها حقيبتها فان أندريا شعرت بالارهاق وأرادت أن تستريح. ولكنها بعد أن استراحت لمدة ربع ساعة فقط تناولت أثناءها طعامها نهضت مرة أخرى لتواصل مسيرتها.

وأثناء نزولهما من فوق التل، كان السير أكثر سهولة.. الا أن الطقس فوق قمة التل كان باردا نسبيا، أما الآن فمع كل خطوة تجاه السفح كانت درجات الحرارة والرطوبة تزداد الى أن أصبح الجو مرة أخرى يشبه تماما جو الحمام التركي.

ونظرا لأنها كانت تعرف أن الظلام يهبط على الاحراش

قبل وقت طويل من غروب الشمس في القرية، رفضت أن تستسلم للتعب واستمرت في سيرها رغم ماشعرت به من أرهاق وعطش.

وأحست أندريا أن حالتها أصبحت أفضل قليلا من قبل عندما توقفت لتشرب من جدول مائي. أما صالح قد رش الماء على صدره، وغسل قدميه ورغم أنه لم يكن يرتدي غير سروال قصير وحذاء تنس قديم، فانه لم يكن يخشى الثعابين أو الحشرات السامة.

واستمرا يعبران النهر الصغير في سلوك الطريق الذي سبقهما اليه الرجال الثلاثة في اليوم السابق - ولكن عندما أشرفت الشمس على المغيب وبدأ يسود المكان جو الغسق الذي يبعث في النفس شيئا من الخوف، أوقف صالح فجأة الزورق وأشار اليها بأن تنصت الى شيء ولم تكن أندريا تسمع شيئا سوى صرخات خفيفة لطيور فوق الاشجار في مكان ماعلى ارتفاع سبعين قدما، الا أنه يبدو أن أذني صالح الحساستين سمعتا صوتا آخر. وتبينت أندريا مما بدا من إشارات عنه أنهما لن يتقدما بالزورق في المياه أبعد من ذلك كثيرا.

وبعد نحو خمسين ياردة نزلا الى هضبة من الصخور وبجوارها الى اليمين جدول تندفع المياه منه بقوة.

وطلب صالح من أندريا الاتتكلم وأقتادها في صمت الى جانب الصخرة التي تشكل قمة جرف مائي آخر.. وهناك تحتها.. كان جوي يستحم في مستجمع مياه تحوطه الصخور.

وشعرت أندريا بالارتياح عندما رأته حتى كادت تبكي من فرط سعادتها الا أنها تماسكت وشكرت صالح بحرارة وبشدة لمساعدته آملة أن يفهم نغمة صوتها أن لم يكن يفهم كلامها، واعطته ساعة اليد الخاصة بها وكذلك رزمة من الدولارات.

وقبل صالح وهو يشعر بالبهجة نتيجة لهذه المنحة غير

المتوقعة - دعوتها لتناول بعض الطعام وتمضية الليلة ثم اختفى في الاحراش مرة أخرى وكأنه يجد فيها بيته وملاذه.

ويبدو أن جوي كان في مفرده، وبعد أن نظرت أندريا حولها للتأكد من ذلك انطلقت اليه وعندما رآها تقترب الى الجدول المائي، خرج من المياه وأسرع الى الهضبة.

"لقد فعلتها، أنك فتاة ممتازة! أنجزت المهمة بطريقة سليمة".

كان يبدو سعيدا جدا بلقائها، وعندما كانا يبتعدان عن هذا الموقع، سالته أندريا في قلق:

"أين الآخرون".

"ذهبا يحاولان اصطياد بعض الاسماك ولن يعودا قبل غروب الشمس، إنني أرى أنك منهكة يا عزيزتي، هل مررت بتجربة بمثل هذه الصعوبة من قبل؟ وأين الشاب الذي اصطحبك الى هنا؟"

"رحل. وسأقول لك كل ماحدث فيما بعد والآن أود أن أنظف نفسي قبل أن يعود الدكتور فرغسون".

وانطلقت أندريا الى حوض السباحة الصخري، وكان جوي يتحدث اليها وهي تصلح من هندامها.

"أصارحك بأنني كنت أشك بعض الشيء في مجيئك، هناك فتيات كثيرات لا يستطعن تحمل ما عانيته، شعرت أنا نفسي بالعناء في الرحلة." ومرت فترة قصيرة وهي تحاول استعادة مظهرها العادي قبل مجيء الاخرين، كانت تود أن تبدو أمامهم هادئة متماسكة كأنها قطعت رحلتها بطائرة هليكوبتر.

وبعد أن أعد جوي لها القهوة قال:

"اشربي، سوف تنعشك، فأنت تحتاجين لكل شجاعتك عندما تقابلين فرغسون".

ومع رشفات القهوة، سرحت أندريا بخواطرها، لقد

كانت تشعر من أعماقها بفرحة الانتصار على غطرسة هذا الرجل اذ حققت ذاتها، وتصورت أندريا ذالك الحوار الذي يمكن أن يدور بينها وبين الدكتور فرغسون عندما يصعق بروءيته لها في تلك المنطقة من الأدغال.

"مرحبا يادكتور فرغسون، كيف كانت رحلتكم الى هنا؟"

"لابأس ولكن كيف عرفت طريقك الى هنا؟ ألم ننصحك بعدم المجيء معنا حتى لا تتعرض فتاة مثلك لمشقة الطريق؟"

"كان الطريق سهلا يادكتور فرغسون، بل انه أسهل كثيرا مماكنت أتصور، وجدت ترحيبا من الاهالي الاصليين في المنطقة، ليتكم كنتم معي حتى تلمسوا بأنفسكم ما صادفته من مودتهم واحترامهم".

"حسنا.. يجدر بك الآن أن تستريحي بعض الوقت قبل أن نستأنف بقية الرحلة".

"كلا يا دكتور فرغسون، جئت الآن لمعاونتكم، ولست في حاجة الى الراحة ماهي المهام التي ترغبون في أن أقوم بها للتخفيف عنكم"

وأفاقت أندريا من هذا الحوار الذي تخيلته، لتجد نفسها في مواجهة الواقع. وكان هذا الواقع قاسيا، ولذلك شعرت برعدة خفيفة تسري في جسمها وقالت لجوي:

"إنني لا أعرف ما الذي سيقوله؟"

"سيقول كلاما مدمرا بلا شك، ولكنه لن يستطيع أن يفعل شيئا".

"ولكن لنفرض أنه ركب رأسه وصمم على عودتي؟"

"لا يستطيع أن يعيدك وحدك.. وإذا أراد أن يصطحبك هو نفسه ليعيدك فسوف تنهار الرحلة كلها.. إنك معنا الآن وستبقين معنا".

وانتهى الكلام وبعد لحظات سمعا أصواتا من ناحية النهر، ثم ظهر شقيقها والطبيب خلف مجموعة من الصخور،

كانا يشقان طريقهما في مياه النهر في محاولة لمقاومة التيار، وقد ارتفعت المياه الى ركبتيهما. وكان الدكتور فرغسون يحمل شبكة فيها عدة أسماك كبيرة.

وكان الظلام قد حل في المنطقة ولم يستطع الرجلان رؤيتها الى أن وصلا فعلا الى الشاطيء، وفي نظرة يملأها الذهول توقف بيتر مندهشا، وهو يقول:

"يا ألهي.. أندريا!"

وردت أندريا:

"مرحبا.. كيف حالك؟"

ورغم سعادتها الظاهرة كانت ترتعد من أعماقها، ولم تجرؤ حتى على النظر الى رفيقه.

ووجه جوي حديثه الى شقيقها بيتر قائلا:

"لا تستمر في التقدم إلى هنا، إنك لا ترى طريقك، ظهرت أندريا في هذه المنطقة منذ نصف ساعة فقط"

ومضى بيتر يحدق فيها وسألها:

"ولكن كيف أنني لا أفهم شيئا، كيف وصلت الى هنا يا أندريا؟"

وردت قائلة:

"كان الأمر بسيطا، لقد تتبعت خطواتكم."

وتطلعت أندريا الى الدكتور فرغسون وقالت:

"كما ترى يا دكتور، فالمرأة تستطيع أن تعيش في الاحراش، كنت في الواقع، حتى الآن أحس بمتعة كاملة وأنا في الطريق اليكم."

ولم يجبها فرغسون، ولكن عينيه ظلتا للحظة تلمعان بمشاعر الغضب، وكان يبدو ضاريا عنيفا، ولو كانا بمفردهما، لأرتعدت منه.

وأقترب جوي من أندريا قائلا:

"حسنا.. إن ما فعلته أكثر مما أستطيع أن أقوله،

وأحاطها بذراعيه ولم يكن في حاجة الى هذه الحركة ليحميها بها. كان الدكتور فرغسون قد مضى وهو يقول:"

"سأذهب أنظف أحشاء هذه الاسماك."

وراقبوه وهو يتجه الى أطراف الغابة، حيث انتزع بعض أوراق الشجر الكبيرة، ثم عاد ونشرها على الارض، وأخرج السمك من الشبك، وانتزع سكينا من حزامه، وتهيأ للقيام بمهمته. ولكنه قبل أن يفعل ذلك قال:

"هل يمكن أن تشعل المصباح يا رامزي، من فضلك!"

وعندما نظر الى جوي كان وجهه خاليا من أي تعبير مرة أخرى.

وقال بيتر لشقيقته:

"ولكنك يا أندي لا يمكن أن تكوني سلكت هذا الطريق كله وحدك."

فأجابته بصراحة قائلة:

"كلا بطبيعة الحال، كان معي مرشد أنه لطيف من الملايو يدعى صالح."

"وكيف تعرفت عليه؟ وماهو ذلك الحافز القوي الذي دفعك للقيام بهذه المغامرة غير المأمونة؟ ومن وراء ذلك كله؟"

وجاءه الرد من الدكتور فرغسون، الذي قال وهو مازال ينظف السمك:

"اظن أن رامزي له يد في ذلك!"

وفي هذه اللحظة، اتجه بيتر بسؤاله الى الرجل الآخر، فقال له:

"هل ساعدتها فعلا يا جوي؟"

ووضع جوي المصباح على صخرة، والتفت اليها قائلا:

"ساعدتها في الواقع.. لقد خططت للعملية كلها.. هل هناك اعتراض؟"

وضغط بيتر على أسنانه في غيظ، وأطبق يديه حتى

اصبحتا قبضتين مشدودتين، ثم قال:
"أيها الغبي، أنني استطيع أن أدق عنقك."
وعندما هم بتنفيذ تهديده، نهض الطبيب محاولا التدخل، فقال:
"إن ذلك لن يفيد شيئا، هيا نعد عشاءنا."
ولم تكن الوجبة ممتعة، صحيح كان السمك لذيذ الطعم، ولكنهم تناولوه في صمت يشوبه التوتر.
وقدم الدكتور فرغسون كوبا من القهوة الى أندريا، وهو يسألها:
"هل أحضرت معك شيئا لكي تنامي عليه؟ وأجابت بهدوء:
"معي المعدات نفسها التي مع كل واحد منكم والامدادات أيضا."
"هل أصبت بأية خدوش وأنت في الطريق الى هنا؟"
"كلا، على الأطلاق."
كان الطوق الجلدي المتسلخ حول وسطها قد بدأ يلتهب، وكانت تأمل في أن تتاح لها الفرصة لتنثر البودرة فوقه قبل موعد النوم. وعلمت أن موعد النوم يحين فوراً عقب العشاء حتى يوفروا غاز المصباح. ولم يكن هذا المصباح ضروريا عندما يهل القمر وتتلألأ النجوم. ولو أنهم كانوا يقيمون مخيماتهم في الاحراش، لكان يتعين عليهم أن يتدثروا في أكياس النوم التي تشبه الأرجوحة حتى يتجنبوا جحافل النمل إلا أنه مع ضوء القمر الساطع، فان سطح الصخر الأملس يوفر لهم أسرة خالية من الحشرات.
ونظرا لأن أندريا كانت مرهقة جدا طوال النهار فقد راحت في نوم عميق. واستيقظت مبكرة جدا في الصباح عندما بزغ نور الفجر. وكان بيتر وجوي مازالا نائمين، ولكن حقيبة فرغسون الكاكية كانت خاوية، وكان هذا يعني أنه استيقظ وترك منامته وعندما خرجت أندريا من كيسها أحست

أنها تتحرك بصعوبة، وأنها تشعر بالجوع أيضا. وتحاملت على نفسها، وقامت فاغتسلت ومشطت شعرها، وبعد ذلك أشعلت موقد الغاز لاعداد بعض القهوة، وعندما كانت تنتظر غليان الماء، وقعت عيناها على جيمس فرغسون وقالت له في اعياء عندما وصل:
"صباح الخير."
"صباح الخير."
وكان واضحا أنه حلق ذقنه، وارتدى ملابس رحلة النهار. وادركت أندريا أن عينيه تراقبانها، وعندما فرغت من اعداد القهوة ملأت كوبين، وقدمت له أحدهما، واحتفظت لنفسها بالكوب الثاني. ولم تترك مجالا لحديث بينهما. وأنما قالت له بسرعة:
"أعتقد أنه من الافضل أن أوقظ الأخرين، اليس كذلك؟"
فقال الدكتور فرغسون بنبرته الحيادية:
"كلا، اتركيهما بعض الوقت أريد قبل أي شيء أن أفحص هذه العلامة التي تبدو على ذراعك اليسرى."
"أية علامة؟ تقصد هذا الخدش، اعتقد أنه غير هام على الاطلاق."
"ربما ولكن الخدوش في بعض الاحيان تكون خطيرة."
سكت قليلا ثم قال:
"تعالي الى هنا ودعيني أفحص هذا الخدش."
وأومأت أندريا برأسها علامة الموافقة، واقتربت منه بينما كان يقول:
"إنها لا تبدو خطيرة، لكن يجب أن نتخذ جانب السلامة، وانحنى يفتح حقيبته ويخرج منها أنبوبة مرهم ثم قال:
"ضعي قليلا من هذا المرهم عليها."
ومرة أخرى أطاعته، وفعلت ما أمرها به دون مناقشة.
ولكنه لم يلبث أن استطرد قائلا:

"حسنا ، والآن ارفعي قميصك."

وأصابتها هذه العبارة بالدهشة المفاجئة، فتراجعت الى الوراء قليلا وقالت:

"ولكن.. لماذا ؟"

أجاب فرغسون:

"أريد أن أعرف إذا كان جلدك قد تسلخ بفعل الحرارة أم لا ؟"

"كلا.. لم يحدث ذلك."

"أرجوك.. لا داعي للمناقشة في هذا الامر، وارفعي قميصك فورا !"

وردت في احتجاج:

"ولكنني قلت لك."

وقاطعها قائلا:

"أريد أن أتأكد، قد لا تتبينين أنت ذلك لكن أهمال هذه التسلخات يمكن أن يحدث تلوثا ، لقد عالجت من قبل شقيقك ورامزي. إنني طبيب كما تعرفين."

وردت قائلة:

"ولكنك لست طبيبي.. وعندما احتاج لرعايتك الطبية فسأطلب منك ذلك يا دكتور."

واستدارت لتبتعد عنه، ولكنه أمسك بمعصمها بقوة وأوقفها ، وقال:

"ما دمت اخترت أن تأتي معنا فيجب أن تفعلي ما يقال لك، وإذا لم تفعلي ذلك فانني أستطيع بسهولة حملك على فعله."

وللحظة من الوقت اجتاحتها الرغبة في التحدي، ولكنها لم تلبث أن رضخت وهي تدفن ثورتها في أعماقها. وامتدت يدها الى قميصها فأخرجته ورفعته قليلا.

وعند رؤيته الجزء الاوسط الملتهب التقط نفسا عميقا تعبيراً عن ضيقه، ولكنه لم يترك لنفسه العنان لكي يلومها كما توقعت وسألها:

"كيف حدث هذا ؟"

وردت في غيظ:

"لا أعرف.. وأعتقد أن حزام الوسط انكمش بعض الشيء.. وهو الذي تسبب في ذلك."

"حسنا ، يتعين عليك أذن أن تفكيه قليلا ، لا تتحركي أرجوك

ثم قام بأصابع ماهرة مدربة بدهان الجزء المتسلخ من وسطها بمرهم، ووضع ضمادة فوق هذه المنطقة وبعد ذلك سألها :

"هل تشعرين بأي شيء آخر يضايقك ؟"

وهزت أندريا رأسها وكانت وجنتاها متقدتين بالحمرة. وفي هذه المرة صدق الدكتور فرغسون ما قالته، ولكنه لم يكن قد أنهى حديثه معها ، فاستطرد يقول:

"أنا لا أعرف لماذا كذبت علي يا آنسة فليمنغ، ويجب أن تفهمي أن الغابة ليست مكانا للخجل والمداراة، وعلى ذلك فإذا حدث أن اصبت بجراح مهما كانت درجتها ، فيجب أن تبلغي بذلك فورا ، هل تفهمين؟ فورا !"

وأجابت في جفاء:

"حسنا ، مادمت تصر على ذلك."

"بالتأكيد أصر على ذلك، في طقس مثل هذا الطقس ليست هناك أصابة تافهة والان أذهبي واحضري قهوتك. فلدينا بعض أمور أخرى نريد مناقشتها."

وأحضرت كوب قهوتها وجلست في المكان الذي اشار اليه. وكان الآخران مازالا نائمين على مسافة عشرين ياردة من مجلسهما. وسألها في هدوء:

"هل تعرف أسرة باكستر أين مكانك الآن؟"

"طبعا.. لقد تركت رسالة."

"نعم، إنك بهذه الرسالة تبلغيهم الى أين أنت ذاهبة ولكن كيف يعرفون أنك وصلت الى هنا بالفعل؟ ألا تهتمين بأثارة قلق الناس؟ ألا تهمك مشاعرهم؟"

وأجابت في جفاء:
"الأمر يتوقف على من يكونون هؤلاء الناس؟ وفيما يتعلق بأسرة باكستر فانني لا أعرفهم جيدا."
ثم صمتت برهة وأردفت قائلة:
"ولا أعتقد أنك بالتأكيد في موقف يسمح لك بأن تعطيني محاضرة عن مراعاة مشاعر الآخرين يا دكتور فرغسون، ومن الواضع أنك لا تعبأ بمشاعر أحد."
وأجاب بنبرة جافة:
"أنت تقصدين مشاعرك حسب ما أظن، ما الذي تريدين منى أن أفعله يا آنسة فليمنغ؟ أن أتبع طريقة التقرب اليك مثل رامزي؟ أو أن أقوم بتقديم تنازلات لا حدود لها؟"
وشعرت بالدم يندفع الى وجنتيها ولكنها نظرت اليه وقالت في صوت حاد:
"أنك لم تقدم أية تنازلات حتى الآن."
وفرغ فرغسون من تناول القهوة، ووضع كوبه على الأرض، ونظر الى ساعته، ونهض واقفا، ثم قال:
"هل تعتقدين أنني لم أفعل ذلك يا آنسة فليمنغ؟"
قالها في لهجة تهكمية واضحة. واستطرد قائلا:
"لو أنك عرفتني أكثر لتبينت أنني حتى الآن أعاملك بمنتهى اللطف، الا أنك من الآن فصاعدا سوف تحصلين على ما تريدين. ولا أعتقد أنك ستحبينه."
ثم تركها وحدها تستوعب هذه العبارات الغامضة المحذرة واتجه ليوقظ الآخرين.
وفي حوالي الساعة الثانية بعد الظهر - وكان قد مضى نحو ساعة منذ أن تخلفت أندريا لتستريح بعض الوقت وجدت نفسها غارقة في مستنقع. وكان الدكتور فرغسون قبل أن يخرجوا صباح ذلك اليوم قد جعلها تتخلى عن حقيبتها. وأختار وهو يتجاهل تماما احتجاجاتها - معظم

محتويات الحقيبة الثقيلة، وأعطى بعضها لشقيقها والبعض الآخر لجوي، وأضاف ماتبقى لحقيبته هو. ولم يكن الدكتور فرغسون يريد تخفيف أحمالها كنوع من الفروسية وأنما كان غرضه الواضح هو أن يجعلها تحس أنها رحالة تشكل عبئا على الآخرين. ونظراً لأن جوي كان قد شكا بالفعل من ثقل المعدات التي كان يحملها، شعرت أندريا بما قصد الدكتور فرغسون أن تحس به. ومع ذلك وبعد ما غاصوا بعض الوقت في المياه الطينية اللزجة شعرت أندريا بالسعادة لأن حقيبتها لم تكن مليئة.
وبينما كان جوي ينوء بما يحمله من أثقال متخلفا عنها بضعة أقدام، وبينما كان الطبيب وبيتر يتقدمانها.. تساءلت أندريا في نفسها إذا كان من الضروري عليهم أن يجتازوا هذا الطريق بالذات، أو أن جيمس فرغسون اختار طريقا آخر لرحلة اليوم كي يعاقبها بسبب تجرؤها على تحديه، وكانت أندريا تحدث نفسها وهي تناضل لكي تتقدم في المستنقع:
"ليس بهذه البساطة تستطيع أن تحملني على الركوع أمامك يا دكتور فرغسون."
وكان هذا المستنقع يبدو بلا نهاية، تحفه من الجانبين الأشجار الاستوائية الضخمة وتزينه الطحالب المتدلية.
ولكنهم بعد رحلة طويلة، استطاعوا أن يصلوا في النهاية الى ارض صلبة مرة أخرى، وهنا أوقفهم الطبيب وطلب منهم أن يستريحوا عشر دقائق. وانزلت اندريا حقيبتها واستدارت الى جوي لمساعدته على انزال حمله الثقيل، فقال بلهجة تدل على التعب:
"أشكرك يا عزيزتي." كان طين المستنقع لا يزال يغطي ساقيه مثل ساقيها وأثر المستنقع لا يزال عالقا بهما.
وتمتمت في اشمئزاز:
"أوه، هذه الرائحة، أليست كريهة؟"

وقال جوي موافقا:

"نعم، انها أسوء من رائحة البيض الفاسد."

وأردف قائلا وهو ينظر الى سروالها المبتل:

"ما كان ينبغي أن تكوني هنا. إن فرغسون على حق. هذا المكان لا يليق بفتاة."

ولكن أندريا استخفت بكلامه وقالت:

"هذا الطين لن يلبث أن يزول إنني لا أهتم به"

ولكنه لم يلبث أن نظر اليها نظرة تتسم بالرعب، وهو يهتف قائلا:

"يا إلهي، أنظري ذراعك، توجد عليه حشرة طفيلية."

ونظرت أندريا الى ذلك الشيء الذي يعلو ذراعها، وانتابها شعور بالغثيان، كانت تحس دائما باشمئزاز من الحيوانات الرخوية. وكانت الحشرة من النوع الرخوي الأسود. ثم استدعى جوي الطبيب الذي طلب اليها أن تكبح جماح انفعالها وحاولت أن تمسك الحشرة وتبعدها عن ذراعها ولكن جيمس فرغسون قال بحدة:

"لا تفعلي هذا."

ثم التفتت الى جوي وقال:

"أشعل سيكارة يا رامزي."

وعندما أشعلها أخذها الدكتور فرغسون ولمس الحشرة بالطرف المشتعل فسقطت في الحال تاركة وراءها خطا من الدم. وقال الدكتور مفسرا:

"إذا حاولت شد الحشرة فانها تترك رؤوسها في جلدك."

وعندما كان الطبيب ينظف مكان الحشرة بمطهر خاص ويضع عليه مسحوق البنسلين، وجد جوي وبيتر أن حشرة مماثلة التصقت بأجسامهما. وقال فرجسون وهو ينظر الى أندريا:

"قد تزحف عليكم حشرات أخرى الليلة عند النوم.

وشعرت أندريا بالخوف ولكنها تظاهرت بالهدوء."

وبعد أن قطعوا مسافة ميل وصلوا الى مكان مجاور فسيح حيث ازيلت جميع الأشجار فوق مساحة تبلغ حوالي فدانين، وأحرقت كل النباتات الموجودة في هذه المنطقة وهي منطقة زراعية جديدة، قال الدكتور فرغسون أنه في مكان مجاور لها سوف يعثرون على قبيلة تميار.

وأفراد قبيلة تميار هم من الأهالي الاصليين يختلفون تماما عن سكان الملايو. ويرتدي الرجال الملابس التي تغطي عوراتهم فقط، وتلف النساء قطعة قماش من نسيج القطن حول الجزء الأسفل من أجسادهن. كما أن بعض الفتيات الصغيرات يطلين وجوههن برسوم ويضعن باقات من الأزهار في الثقوب الكبيرة في شحمة آذانهن.

وبعد فترة من التحفظ، أصبح أهالي تميار أصدقاء لهم، وأظهرو لهم اعجابهم بشعر أندريا الاشقر. وأصروا على أن يشاركهم زوارهم وجبة غداء في دارهم، وبعد ذلك اشترك رئيس القبيلة والدكتور فرغسون في نقاش، وظل الرجل المسن يشير الى أندريا وتساءل بيتر ماذا يقصد بذلك.

وأوضح الطبيب:

"أنه يعرض علينا سريره الخاص لاستخدامه هذه الليلة، وهذا تقليد عندهم، وإذا رفضنا سيغضب منا."

وقال جوي في حنق:

"أرجو أن تستبعدني، أنني أفضل مكانا في الهواء الطلق."

ونظراً لان القبيلة كلها كانت تعيش وتعد طعامها في هذه الدار الكبيرة - كانت السقوف مسودة بالسخام، وكان الجو مليئا بالدخان، وقال جيمس فرغسون بدون أي تعبير في صوته:

"قصدت بكلمة علينا أنا والآنسة فليمنغ!"

وحدق الجميع فيه بدهشة، بينما استطرد قائلا."

"رئيس القبيلة البنغولو لديه انطباع أن الآنسة هي زوجتي"،
وشعرت أندريا أن في هذا التصرف من جانب فرغسون بعض الخبث والخداع.

وقال بيتر في إيجاز.

"حسنا، أبلغه أنه مخطىء."

"قلت له هذا فعلا، ولكنه غير مقتنع، وهو يعتقد أننا لانريد أن نسلبه راحته."

وربت البنغولو على ذراع أندريا وأومأ لها وكان واضحا أنه يحثها على أن تقنع زوجها بأن يقبل عرضه باستخدام سريره.

وهزت أندريا رأسها، ثم راودتها فكرة اذ أشارت الى البنغولو دون أن تتمكن من الحديث اليه - معبرة عن أنها تنتمي الى بيتر وليس الى فرغسون.

وللحظة كان يبدو على رئيس القبيلة أنه لايصدقها، وفجأة عندما تبين الخطأ الذي وقع فيه، انفجر ضاحكا، وعرف جميع من في الدار بهذه القصة التي أثارت البهجة في نفوسهم وحتي أندريا كانت ترسم على شفتيها ابتسامة، الا أن قلبها كان يدق بشدة لأن ما وقع كان أمرا محرجا.

وفي النهاية، شاركت أندريا شقيقها سرير البنغولو. وكان جوي والطبيب يرقدان في مأوى خارج الدار، وظلت أندريا تحدث نفسها، ما الذي كان يمكن أن يحدث لو لم تتمكن بنفسها من حل هذا الموقف.

وفي الصباح التالي، قبل أن تستأنف المجموعة رحلتها - اقام الدكتور فرغسون عيادة طبية في الدار لاجراء كشف طبي سريع وعلاج الكثيرين من الشباب ورجال القرية. كان الكثير من الرجال يعانون من مرض جلدي في حين أن معظم النساء كن يعانين من السل. وكانت أندريا ترقب فرغسون وهو يعالج مرضاه بطريقة تختلف كثيرا عن الطريقة التي يعامل بها رفاقه من البيض.

وبعد أن فرغ من معالجة أفراد قبيلة تيمار مضوا في طريقهم. وقال الدكتور فرغسون لأندريا:

"كلفت أحد رجال القبيلة بحمل رسالة الى أسرة باكستر تفيد أنك وصلت بسلام وأتوقع أن تصلهم الرسالة غدا في أي وقت إن رجال القبائل يتنقلون أسرع منا."

وقضوا الليلة التالية في مخيم آخر تابع أيضا لقبيلة تميار وهو مجاور لمياه النهر، وكان وصولهم هذه المرة مبكرا بعد الظهر حتى يكون هناك فسحة من الوقت لكي يمارسوا رياضة السباحة والشمس ساطعة.

وتساءل جوي في أسترخاء بينما كان يجلس هو وأندريا على تل رملي وسط النهر:

"إنني أعجب الى اي حد نحن بعيدون عن المدينة والحضارة."

وردت أندريا قائلة:

"ليس أبعد مما يستطيع الغراب أن يطير."

واستدارت الى الناحية الأخرى لتشاهد شقيقها يسبح في مياه النهر على الضفة الاخرى، أما الدكتور فرغسون فكان يتحدث الى شيخ القبيلة. وفي هذه الأثناء حاول جوي أن يتقرب أكثر الى أندريا ولكنها ردته عن نفسها، وكانت في قرارتها تتمنى لو أن بيتر خرج من المياه ليلحق بهما.

ودار بين الاثنين حوار حول العلاقات بين الجنسين، وأوضح لها جوي أن الفتيات نوعان: الأول هو الفتاة التي تمارس حياتها في بساطة ولهو مع الأخرين بدون أن يلحق بها ضرر والنوع الثاني هو الفتاة الجادة التي تتطلع الى فارس احلامها الذي يتزوجها.. وكان جوي أثناء حديثهما يحاول ملاطفتها، ومراودتها ثم اقترحت أندريا أن يتركا المكان، ويلحقا بالآخرين في الماء. وعندما همت واقفة فوجئت بمشهد لم تكن تتوقعه أبدا أصابها بالخجل والحيرة، كان الدكتور فرغسون واقفا على مكان مرتفع مرتديا ملابس السباحة،

وبعد لحظة قفز مرة أخرى الى الماء، ولكنها كانت متأكدة أنه يراقبها هي وجوي.

وأحست أندريا انها ارتكبت خطأ فاحشا لأنها سمحت لجوي أن يتمادى في ملاطفتها في هذه الظروف في الذات. إن ما رآه فرغسون يعتبر بلا شك نقطة ضعف في كل خطتها، أن المرأة هي المرأة ولو كانت في الادغال، لا تستطيع أن تقاوم عبارات الاعجاب التي تصدر عمن حولها من الرجال.

ولكن فرغسون لا يكاد يلتفت اليها، إن مشاعره فاترة نحوها، ومرة أخرى فكرت أندريا بمنطق الأنثى. صحيح أن المشهد الذي رآه فرغسون بينها وبين جوي لم يكن مناسبا إلا أنه رغم ذلك يمكن أن يكون مؤثرا في مشاعر فرغسون كرجل. هل يمكن أن يشعر هذا الرجل بالغيرة نحوها بعد أن شاهدها مع جوي؟ ربما، ولكن هذا الحديث العابر اختبارا لمدى تطورا اهتمامه بها. وربما تستطيع أيضا خلال هذه الرحلة أن تجعله ينسى تلك الفتاة التي تقبع في دارها مستسلمة لأوامر الرجال.. الآنسة باكستر.

وفي تلك الليلة كانت الدار تستعد لحفل راقص وكانت نساء القبيلة ترتدين أفضل ما لديهن من أزياء والاطفال يساعدون في طلاء وجوههم كما جرت العادة وكان جو الدار مفعما برائحة لحم الشواء، وبدا كل فرد سعيدا، واتجهت أندريا الى مكان ناء لتستبدل ملابسها بالزي الوطني وتتزين وأثناء ذلك سمعت صوتا يهمس:

"آنسة فليمنغ."

وخرجت أندريا مسرعة من مكانها وهي ترتدي هذا الزي القبلي كان الدكتور فرغسون صاحب الصوت الحاد العميق وبادرته قائلة:

"أرجو أن يكون مناسبا أن ارتدي هذا الزي.. اعتقد أنه سيكون مريحا.."

"أظن ذلك.. هل ثبته جيدا عليك؟"

"نعم.. ثم رفعت طرف قميصها لتريه كيف ثبتت الثوب حول خصرها فقال."

"حسنا ولكنني سوف أطلب فيما بعد من أحد النساء أن تعلمك كيف يمكن تثبيت هذا الزي بطريقة محكمة لقد جئت لأحضر لك هذا الغطاء للرأس، لأنهم لم يصنعوا لك غطاء خاصا."

كان الدكتور فرغسون يمسك في يده عقدا من الزهور الجميلة.. النادرة، ثمنها في لندن لا يقل عن ثلاثة جنيهات للزهرة الواحدة.

"أشكرك يا دكتور فرغسون، أنه عقد جميل حقا، هل صنعته بنفسك."

"نعم أن ساق هذا النوع من الزهور قوية ومن السهل ربطها بعضها مع بعض."

وامسكت اندريا العقد الزهري، وكان جميلا جذابا كأنه اكليل لزفاف عروس. وعندئذ تساءلت:

"دكتور فرغسون هل يمكن ان نكون اصدقاء.."

وكانت كلماتها ورجاؤها اليه تلقائيا، لم تفكر من قبل فيما قالته، بل خرجت الكلمات من بين شفتيها في بساطة دون انتقاء.."

"هل تشعرين أننا كنا أعداء يا آنسة فليمنغ."

وكالعادة كانت تعبيرات وجهه غير واضحة، الا أنه بدا وكأنه نبرات صوته تغيرت الى حد ما.

وواصلت هي الحديث، فقالت:

"لم نكن أعداء بهذا المعنى.. ولكن علاقتنا لم تكن على ما يرام.. انا أعرف أنني لم أنل رضاك في أي وقت من الاوقات."

وسألها دكتور فرغسون:

"هل استيائي يقلقك؟"

"حسنا.. إنه أمر غير مريح ألا يكون الانسان على وئام مع الاخرين.."

كانت أندريا تحاول أن تنهي ما بينهما من عداوة. وكانت تتمنى لو أنه حاول هو الاخر.

وبعد لحظة قال فرغسون:

"حسنا يا آنسة فليمنغ. سوف نعقد هدنة بيننا."

ورغم أنه مد يده اليها مصافحا، فأنه لم يبتسم.

"أرجو أثناء وجودي هنا أن القي نظرة على وسطك، كان ينبغي علي أن أفحصه في الصباح."

"إنه أحسن حالا الآن، نزعت الضمادة في الواقع."

ورفعت جزءاً من قميصها ليرى التسلخات، وكان واضحا أن العلاج فعال. ولم يعد هناك سوى آثار طفيفة للتسلخات.

"إنك سعيدة الحظ ولا بد أن لديك مقاومة للتلوث."

قالها وهويفحص ظهرها أيضا ثم أعطاها قدحا زجاجيا فيه حبات بيضاء، وسألته:

"ما هذا؟"

"إنها أقراص ملحية، وحتى اذا كنت لاتستخدمين الملح عادة، فانك سوف تحتاجين اليه هنا، وسوف تجنبك هذه الاقراص التقلصات المعوية، وعليك أن تتناولي قرصا كل صباح."

وأومأت أندريا برأسها علامة الموافقة وقالت:

"حسنا، أشكرك مرة أخرى على الزهور التي قدمتها لي."

واستدار الدكتور فرغسون ليبتعد عن المكان، ولكنه توقف:

"هناك شيء واحد آخر يا آنسة فليمنغ."

"أوه.. أرجوا أن تناديني من الآن آندريا؟"

"حسنا إذا رغبت في ذلك فأنا موافق."

وأثناء ذلك كانت تتردد من بعيد نغمات الناي معلنه بدء الحفل الراقص، ورغم أنها كانت ترغب في ارتداء عقد الزهور قبل أن تغيب الشمس حتى تستطيع أن ترى نفسها في

المرآة، إلا أنها انتظرت حتى يكمل جيمس فرغسون حديثه.

"أردت أن أقول لك أنه توجد هنا قوانين قبلية لأهالي البلاد من المستحسن حتى للغرباء ان يلتزموا بها. ان افراد هذه القبيلة يتمسكون بأخلاقياتهم ولديهم قواعد سلوكية جافة، وأي شخص ينتهك محرماتهم يعاقب بشدة، ذلك لا ينطبق علينا بطبيعة الحال، ولكنه رغم ذلك يتعين علينا الا ننتهك هذه القوانين."

وتوقف عن الحديث لفترة قصيرة وكانت أندريا تعتقد أنه سيشرح لها بعض القواعد والسلوك التي يجب أن تراعيها في الحفل.

ولكنه قال:

"إن علاقتك مع رامزي مسألة شخصية تماما، الا أنه من حسن الحظ أن أحدا من أفراد القبيلة لم يكن موجوداً قرب النهر بعد ظهر اليوم فمن الأمور المحرمة هنا ممارسة الغزل أثناء طلوع الشمس.. وعندما يحل الظلام تستطيعين أن تفعلي ما تشائين."

ثم أنصرف من مكانه تاركا أندريا تلاحقه بنظراتها وهي مضطربة كأنه قد صفعها على وجهها!

معنى هذا أنه رأى جوي معها قرب النهر حسنا وقال إن هذا الامر لا يخصه، إلا أن هذا التفكير لم يخفف من شعورها بالخزي..

"وماذا يهم ذلك ولماذا أعبأ بما يفكر فيه؟"

ولكنها فجأة أحست أن الأمر يهمها فعلا.

٤ - وهج الأدغال

كانت رحلة اليوم التالي في زوارق صغيرة، وأوفد شيخ القبيلة معهم أربعة رجال لكي يصطحبوهم في النهر الى الطرف البعيد من الوادي. وكان الثمن بعض سنانير الصيد وبعض البالونات الملونة والمسامير.

وكان من المعروف أن المسافة الى الطرف الآخر من الوادي لا تستغرق إلا يومين أو أكثر قليلا إذا قطعوها على الاقدام. ولكن الرحلة عبر المياه تعتبر أسرع وأقل مشقة، وإن كانت تنطوي على بعض المخاطر.

ذلك أن شمس الظهيرة الشديدة الحرارة، رغم أنها لاتتوغل الى أعماق الأحراش، لكن حرارتها كما تبينت ذلك أندريا في أول يوم لها تصل الى درجة أشبه بدرجة الالتهاب على سطح المياه المكشوفة.

واستقل الزورق الأول بيتر وجوي وكان جوي يصور المشهد الذي حوله بينما كان بيتر يسجل وصفا له وتعليقاً على الشريط، أما أندريا فرافقت الدكتور فرغسون في الزورق الثاني.. وهو إجراء ربما يكون أضاف توترا ذهنيا الى التعب الجسماني الذي كانت تشعر به فعلا.

ورغم وهج الشمس، فان فرغسون لم يكن يرتدي قميصا ويبدو أن درجة الحرارة الشديدة لم تكن تؤثر فيه، وقد أصبح لون بشرته داكنا أكثر من بعض أفراد قبيلة تميار أنفسهم.

وطوال الرحلة، ظل الاثنان صامتين حوالي ساعة كاملة. وأخيرا قطعت أندريا هذا الصمت وسألت:

"متى نصل الى الوادي حيث توجد الكهوف؟"

وقال وهو يهز كتفيه بلا أكتراث:

"خلال يومين.. إلا أنني لا اعتقد أنه ستكون هناك كهوف. وما يحدث هنا هو مجرد وقت ضائع ومجهود بلا فائدة!"

وأضافت أندريا وهي تتابع بنظرها أصابعه الطويلة النحيلة بينما راح يقطع كتلة من الخشب بسكين تلمع في ضوء الشمس.

"لدي انطباع يا دكتور فرغسون أنك لا توافق على هذه الرحلة فعلا.."

فنظر إليها قائلا:

"كنت أظن أننا تخلصنا من الرسميات."

وتظاهرت أندريا بأنها تحدق في أشياء أخرى على ضفة النهر، إنه لشيء سخيف حقا، ولكنها لم تكن على يقين بأنها تستطيع أن تناديه باسمه الأول فقط، كانت لا تزال تشعر أن الحواجز قائمة بينها وبينه، وإن كانت لا تدري مبررا لهذا الاحساس.

واستطرد فرغسون قائلا:

"كلا.. أنت على حق.. إنني لست موافقا على مثل هذه الرحلة. ويستوي عندي في الحالتين أن تكون هناك كهوف أولا تكون، فليست هذه هي القضية بالنسبة الي. وإنما اعتقادي الذي لا يتغير هو أنه من الأفضل ترك الاهالي الاصليين دون ازعاجهم، ففيما عدا المعونة الطبية ليس لدى المدينة شيء ذو قيمة يمكن أن نقدمه لهم، وفي الحقيقة فانهم عندما يضطرون الى الاتصال بالعالم الخارجي - كما يحدث من خلال الرحلات السياحية المتزايدة - يتعرضون لأضرار كبيرة، إنه الشيء نفسه بالنسبة الى كل

الناس البدائيين فبمجرد وصول الشعوب الغربية تتفسخ الاخلاقيات عندهم ويفتقدون البراءة والاصالة٠"

"إذا كان هذا شعورك٠٠ فلماذا وافقت على أن تقوم بدور المرشد لرحلتنا هذه؟"

"شقيقك يدفع لي أجرا عن هذا الدور والواقع أنني احتاج الى هذه النقود والي المزيد منها٠ ذلك أن الأموال التي أخصصها للأبحاث ليست كافية لتغطي نفقات العلاج التي يحتاجها هؤلاء الناس٠"

"فهمت٠٠ ولكن حول أي موضوع بالضبط تدور أبحاثك؟"

"أريد ان استكشف أذا كانت الأدوية العديدة التي يستخدمها أهالي البلاد لها استخدامات أوسع فمعظم الأشخاص العاديين لا يدركون أن كثيرا مما يسمى بالعقاقير الحديثة، استخدمها في بادىء الأمر أطباء القبيلة الذين يطلق عليهم اسم السحرة٠"

"هل أنت تقصد مثلا مادة الكورار الاستوائية السامة؟"

"نعم رغم أن الفرض الاساسي من الكورار كان القتل وليس أنقاذ الحياة٠"

وعادت أندريا لتسأل من جديد وباهتمام:

"وهل تم فحص السموم التي يستخدمها أفراد قبيلة تميار في رماحهم؟"

"نعم٠٠ إنها تشبه مادة الكورار، وإنني أقوم في الوقت الحالي باجراء أبحاثي على نبات يعرف باسم بيتاي٠٠ الأهالي الاصليون يستخدمونه كعلاج لمرضى السكري وكذلك يفعل الصينيون، وسكان الملايو، وربما يثبت أنها مادة ذات قيمة٠"

وقبل أن تتوجه أندريا بأسئلة أخرى عن اهتمامها، سمعت أحد أفراد قبيلة تميار الواقفين خلفها يتمتم وكأنه يقول شيئا٠

والتفت فرغسون خلفه وأومأ برأسه٠٠ ويبدو أنه كان يتحدث لهجة أهالي البلاد الاصليين بطلاقة، فلم يلبث أن أوضح لها ما يدور قائلا:

"هناك بعض التيارات المائية العنيفة ستصادفنا٠"

وأثار ذلك قلق أندريا، فعادت تسأل:

"هل يعرف الآخرون ذلك؟ ستكون كارثة لو أنهم فقدوا محركهم!"

"حذرتهم من هذه الأمواج قبل أن نبدأ الرحلة٠٠"

وكان الزورق الأول قد اختفى عن الأنظار تقريبا عند منحنى في النهر، وعندما اقترب زورقهم من هذه المنطقة، سمعت أندريا صوت هدير المياه الهائجة، وكان واضحا أن هذه الأمواج أكثر ارتفاعا وأشد عنفا من تلك التي صادفتها وهي تستقل زورق صالح الصغير٠

وبدأ النهر يموج بتياراته المتقطعة٠ وكان الزورق يتمايل ويترنح٠٠ وقال لها فرغسون:

"من الأفضل أن تتشبثي بي٠٠"

وعندما اكتسحت الأمواج المركب عند المنحنى، وضع الطبيب ذراعيه حول وسطها وجذبها بقوة نحوه٠

ولو كانت أندريا قد رأت هذه الأمواج من مسافة بعيدة لاعتقدت أنه من المستحيل على أي مركب ناهيك عن زورق من خشب البامبو أن ينجو من هذا التيار المتلاطم السريع الذي يواجههم الآن٠٠ ولم يكن هناك وقت للخوف٠٠ فقد أصبح الزورق مثل قشة تقذف بها دوامات المياه من كل جانب وتعبث بها٠ ثم لم تلبث أن انزلقت بسرعة على حافة التيارات المائية الهائجة وسط جو مضطرب عنيف تحيط بها الصخور من كل جانب وتتقاذفها الأمواج العالية٠

وعندما عبر الزورق هذه الأمواج العاتية، خرجوا جميعا مبللين تماما ولكن دون أن يمسهم أي أذى، ووجدت

أندريا نفسها متعلقة بالدكتورفرغسون كما لو كانت قد غرقت فعلا.. لم تكن تشعر بالرعب أو الفزع، ولكنها بغريزة حب الحياة كانت تجد نفسها مدفوعة لأن تتعلق بأي شيء تجده أمامها، وفعلت بأن تعلقت بالدكتور فرغسون ولكن بعد أن زال الخطر ابتعدت عنه وهي مبتلة، لاهثة..

وكان أول ما جرى على لسانها هو قولها:

"آسفة، لقد اعتقدت أن الأمواج سوف تقذف بنا بعيدا."

وعدلت في جلستها، ثم أضافت قائلة:

"كنت تحدثني عن أبحاثك.."

وحدق فيها فرغسون، لفترة قصيرة ثم مال برأسه وقد أسند مرفقيه على ركبتيه وأخفى وجهه بين يديه، وبعد لحظة من الدهشة، تبينت أندريا أنه يهتز بضحكات صامتة. ثم أخذ يضحك بصوت عال.

واحتدت أندريا وهي تسأل في انفعال:

"هل ترى أن هناك ما يمكن أن يثير الضحك؟"

وبدأ فرغسون يضحك في صوت عال واشترك معه في الضحك أفراد قبيلة تميار. وكانت أصداء قهقهاتهم تسمع في جنبات الغابة وبدا النهر كله وكأنه يدوي فرحا.

واعتدلت أندريا أكثر في جلستها، ولم تكن تفهم ما هو الشيء الذي أضحكهم، ولكنهم كانت تشعر أنها قد تكون الى حد ما السبب في هذا الضحك، وانتظرت أندريا حتى يفرغوا جميعا من الضحك ويتماسكوا مرة أخرى.

وعندما حدث ذلك اعتذر فرغسون لها. وقال لها إنها يجب ألا تهتم كثيرا بما يفعلون، فهم في الحقيقة اناس اجتماعيون بسطاء.

ونظر اليها في تمعن واستعاد جديته مرة أخرى وقال:

"أخطأت في فهمك يا أندريا أليس كذلك؟ إنني أخشى أن أكون أصدرت حكمي عليك على أساس المظهر، وهو خطأ

كبير يرتكبه الانسان."

والتفتت اليه أندريا متسائلة:

"إنني لا أفهم ماذا تعني بالضبط!"

"للأسف أنه ليس هناك في مظهرك ما يوحي بأنك امرأة مهيبة بهذا القدر وبصراحة، اعتقدت أنك عندما تشاهدين هذه الامواج العالية سوف تفقدين توازنك تماما، ويقينا، فانني لا أعتقد أن هناك فتاة أخرى تقوى على مواجهة هذا الموقف وتعتبره مجرد مقاطعة تافهة لحديث هام عن أعمال البحث."

وقالت في شيء من الارتباك:

"فهمت الآن.."

وكانت هذه هي المرة الأولى التي يبتسم فيها فرغسون اليها فعلا، وكان لهذه الابتسامة أثر كبير في نفسها.

ومضى فرغسون قائلا:

"من المستحسن الآن أن نلحق بالآخرين."

وعلى مسافة قريبة كان الزورق الأول يرسو في ظلال الأشجار.

وسألهم فرغسون:

"هل المحرك على ما يرام؟"

"نعم، لقد حذرنا الصبية من ذلك وقمنا بلفه في ملاءة ووضعناه في أسفل المركب، هل هناك أمواج أخرى ستصادفنا؟"

ومضى فرغسون قائلا:

"كلا، ومن الآن سيكون الطريق سهلا."

ونظر الى بيتر فليمنغ قائلا:

"هل أنت بخير؟ هل توجد معك أقراص لحالة سوء الهضم؟"

ورد بيتر في لهجة مرهقة:

"اشعر ببعض المغص، لا بد أنني أكلت كثيرا مساء أمس."

"بالتأكيد نعم، وسأحضر لك بعض الأقراص، هل أنت بخير يا أندريا؟"

"أنا على ما يرام الآن، ولكنني شعرت قبل ذلك بألم."

وقال جوي:

"إن ما احتاجه الآن هو الماء، هل هناك ضرر من أن أشرب من مياه النهر؟"

وطلب فرغسون من أفراد قبيلة تميار أن يحضروا مياها نقية كانوا يحتفظون بها.

وعندئذ تساءل جوي:

"ما الذي كان يحتويه الطعام الذي قدموه الينا في الليلة الماضية؟"

وانبرى فرغسون متسائلا:

"هل أعجبك الطعام؟"

"نعم، كان لذيذا."

وقال جيمس فرغسون:

إنها في الحقيقة لحوم قردة!"

وأصابت هذه العبارة جوي بالذعر فقال:

"لا بد أنك تمزح يا دكتور فرغسون!"

"كلا.. إن معظم أهالي البلاد يأكلون لحوم القردة."

فانبرى جوي قائلا:

"كان من الأفضل إذن أن تحذرني!"

وردت أندريا قائلة:

"ولكنك قلت أنها أعجبتك."

ودهشت أندريا عندما نظر اليها جوي نظرة ملؤها الغيظ.

وتراجعت قائلة:

"آسفة!"

وبعد حوالي نصف ساعة، استأنفوا رحلتهم. كانت السماء في ذلك الوقت ملبدة وبعد نصف ساعة عندما استأنفوا

التقدم عتمت السماء، وبد ت الغيوم كثيفة، وبعد لحظات بدأ انهمار المطر وخلال دقائق كانت السيول تغمرهم تماما، ولمدة ساعة كاملة وكانت هذه هي المرة الثانية التي تشعر فيها أندريا بالزهو، ونسيت كل مشاعر الرعب التي انتابها عندما كانت تيارات المياه العاتية تتقاذف زورقها وكادت تغرقها، ولم تذكر غير شيء واحد، هو أنها استطاعت أن تنتزع من فرغسون اعترافا صريحا بأنها ليست مجرد فتاة جميلة. أنها تستطيع إذا أرادت أن تواجه أي تجربة صعبة دون أن تفقد توازنها، بل اعترف أيضا أنه ليست هناك فتاة أخرى تستطيع مواجهة مثل هذا الموقف.

واكتفت أندريا بهذا الاحساس بالنصر، دون أن تحاول أبدا أن تجادله فيما ذكره عنها قبل إنها لا تريد أن تتفاخر بقدرتها على التحمل. ولا تريد أن تسبب له حرجا بين رفيقي الرحلة الآخرين. لقد كان كل ما تتمناه هو أن تصادفهم مواقف أخرى تكون محكا لمعرفة قدراتها المتعددة. وطوال هذا الوقت ظلت أندريا متدثرة في ملاءة، بينما كان أفراد التيمار يوجهون زورقهم عبر المياه، وفجأة توقف السيل، وظهرت الشمس مرة أخرى، وفي مكان على ضفة النهر استبدلت أندريا ملابسها المبتلة.

وعندما عادت قالت لهم:

"تحققت الآن من شيء إنني لم اشاهد حتى الآن ثعبانا في الغابة."

وقال جيمس فرغسون:

"لن تجدي شيئا منها الآن وان كان هناك عدد كبير في المنطقة ولكنها تختفي إنها تخافنا أكثر مما نخافها. والواقع أن الغابة ليست مكانا خطيرا إذا ما التزمت بعدد من القواعد البسيطة."

فتساءلت أندريا:

"إذن لماذا عارضت مجيئي معكم؟"
فافتر ثغره عن ابتسامة صغيرة وهو يقول:
"لأنني أخطأت في تقديرك كما اعترفت لك من قبل.. ولكن ليس معني هذا أن الغابة ليست خطيرة وانها خالية من كل المتاعب، وإن ما قصدته هو أن الناس لديهم أفكار خاطئة عن هذه الاخطار."
"ولكن ما هي الاخطار الحقيقية؟"
"حسنا.. أستطيع أن أقول أن أكثر الأسباب شيوعا للموت في الاحراش هي امراض الالتهاب الرئوي وتعفن الدم.. إننا لا نزال نعلو قليلا فوق مستوى سطح البحر هنا ولكن البرد والرطوبة يمكن أن يؤديا الى الاصابة بنوبة برد خطر."
وردت أندريا وهي تفكر مليا:
"نعم أعتقد هذا رغم أن الاصابة بالالتهاب الرئوي هي آخر ما يفكر فيه المرء في مثل هذا الطقس"
وبعد لحظة بدأت أندريا تشعر بالنعاس. كان الوقت تجاوز منتصف الليل عندما غادرت مكان الاحتفالات ولكن الأهالي ظلوا يرقصون حتى الساعة الثالثة صباحا ولذلك لم تكن قد أخذت قسطا كافيا من النوم. وقررت أن ترقد وتأخذ اغفاءة، وتمددت على سطح المركب وأسندت رأسها الى تلك الرزمة التي كانت معها، وعلى همهمة النهر وهزات القارب راحت في سبات عميق.
وفي تلك الليلة تعين عليهم أن ينشروا حقائب النوم بين الاشجار كأرجوحة، وفي الصباح استيقظت أندريا على صياح جماعات كبيرة من القردة في مكان ما فوق الأشجار.
ومنذ الساعة السابعة صباحا وحتى الظهيرة ظلوا يناضلون عبر طريق على سطح تل شديد الانحدار لم يستخدم منذ فترة وقد نما فيه نبات السرخس الطويل، ورغم أن الطريق كان صعبا لدرجة أنه اجبرهم علىٰ الراحة عشر دقائق كل

نصف ساعة، فان جهودهم المضنية أثبتت جدواها عندما وصلوا الى قمة التل، وجدوا أنفسهم الآن في واد أصغر تتاخمه سلسلة من التلال على شكل هلال ووجدوا هناك غابة ذات طبيعة مختلفة تماما عن تلك الغابة الرطبة، الممطرة المعتمة التي كانوا يعبرونها من قبل، وبينما كان للغابة السابقة مظهر كئيب اعطت الغابة الأخرى انطباعاً بأنها ذات طبيعة استوائية خصبة.
وأسعدهم جدا بعد أن تتبعوا أصوات مياه جارية أن يصلوا الى منطقة واسعة خالية من الاشجار، فيها سلسلة من مساقط المياه تؤلف حلقة من سلسلة شلالات صغيرة تنتهي بمستجمعات مياه عديدة ضحلة.
وقال جيمس وقد ارتمى الثلاثة الآخرون على جذع شجرة:
"سنمضي بقية اليوم هنا، ولكنني لو كنت مكانكم لما جلست في هذا الموقع. فقد تكون هناك بعض العقارب حول المكان؟"
وقال جوي وهو يتنهد:
"يا للعذاب، ألا نستطيع أن نمضي دقيقة واحدة في سلام؟"
وكان جوي يشعر بشيء من التوتر والتعب وأنه بدأ يحس بمشاعر غير ودية تجاه فرغسون فأشعل سيكارة، واتجه الى أندريا متسائلا:
"كيف تحملت البقاء مع هذا الرجل على زورق واحد طوال يوم أمس؟"
وأجابت
"كان يحدثني عن أبحاثه.. إنها مثيرة للاهتمام.."
ورد جوي في نبرة غريبة:
"آه.. لقد فهمت!"
وسألته أندريا وقد شعرت بشيء من الارتباك:
"وماذا فهمت؟"

"تبينت أن العلاقات بينكما تتحسن وبخاصة عندما يناديك باسم أندريا".
"وهل لديك اعتراض على ذلك؟"
"كلا.. ولكن لا يعجبني أن تتطور العلاقات بينكما الى هذا الجو العائلي الدافىء".
ونظرت اليه نظرة غاضبة، لأن فكرته كانت مضحكة تماما، وشعرت بأن جوي ربما يعاني من مشاعر الغيرة، وانتابت أندريا الحيرة.
كان يبدو لها دائما ومنذ أن عرفته شخصا مرحا جذابا لطيفا لايأخذ أي شيء على محمل الجد. والآن.. أصبح فجأة يشعر بالغيرة.
والتفتت أندريا الى جوي وقالت:
"أصبحت سخيفا مضحكا يا جوي، ولا أعرف سببا لذلك".
ورد جوي في انفعال:
"الأمر ببساطة هو أنني احبك.. هذا هو كل ما في الأمر. ثم هذا بعض الشيء".
واستطرد قائلا:
"يا الهي.. لا تدعينا نختلف أكثر من ذلك، أعتقد أننا لن نستطيع التحدث هنا، فقد يعود الآخرون بعد دقيقة، دعينا نتمشى سويا ونتحدث في هذه الأمور".
واعتذرت أندريا لأنها لم تكن ترتدي ملابسها كاملة. ثم وقفت وسط الماء الذي كاد يصل الى ركبتيها وأردفت تقول وهي تحاول انتقاء كلماتها:
"إنني مرهقة يا جوي والواقع أنني أجد الرحلة أشق كثيرا مما أستطيع احتماله".
والتفتت لتواجهه وقالت متوسلة:
"أرجوك. أنني مرهقة جسميا ولا أستطيع احتمال المشاكل العاطفية في الوقت الحاضر، إنني مشوشة تماما".

وعندئذ هدأت حدة صوته وقال:
"مسكينة.." ثم طلب منها أن تبقي في مكانها.
وقال:
"انا ذاهب لأحضر آلة التصوير، وسألتقط لك مجموعة صور ملونة، وأنت ترتدين هذا السارنغ الجميل".
وكانت أندريا تشعر بالارتباك والحيرة.
وبينما كان جوي يعد آلة التصوير. عاد الآخران وجلسا على الصخور وشاهداه وهو يوجهها الى أوضاع معينة لالتقاط صور مختلفة.
وقال جيمس فرغسون متسائلا:
"لماذا تلتقطون هذه الصور؟"
وقالت أندريا موضحة:
"سوف تستخدم في أعداد موضوعات مصورة للمجلة، والآن وبعد أن اصبحنا مشهورين لدينا عرض من وكالة إعلان وهي تريد استخدامنا في حملة دعائية لنوع جديد من مستحضر للبشرة، إلا أن بيتر رفض هذا العرض".
وأضاف جوي قائلا:
"ولا أحد يعلم لماذا رفض بيتر، أنك تستطيعين أن تجني ثروة معقولة من هذا العمل يا آندي. تصوري اعلانا يقول:
"المستكشفة النائية أندريا فليمنغ تستخدم دائما كريم الوجه "جو" للاحتفاظ ببشرتها مشرقة ونضرة، حتى في جو الأدغال الصعب. يجعل كريم "جو" بشرتها ناعمة كالحرير!"
وضحكت أندريا وقالت من الأفضل أن يكون الاعلان هكذا.
"الآنسة فليمنغ أصيبت قدميها بقروح كثيرة، لدرجة أنها استخدمت خمسين علبة من انتاجنا من شريط البلاستر للقدم".
وتساءل جيمس فرغسون في لهفة:
"هل تشعرين بألم في قدميك؟"

"كلا ٠٠ كنت أمزح ٠٠"

وطلب اليها فرغسون أن تقترب منه ليفحص قدمها، واسرعت اليه مستجيبة، ثم ساءلت نفسها لماذا لم تعد تغتاظ من طريقته الآمرة، ألان الأمر يعد مجديا ؟ كلا ٠٠ إن الأمر ليس بهذه البساطة! وفي هذه اللحظة عاد بيتر ومعه بعض الأزهار وقال جوي:

"ضعي زهرة منها خلف أذنيك يا آندي ٠"

ولكن بينما كان بيتر يناول أخته الزهور تدخل فرغسون وقال:

"انتظر ٠٠ ربما توجد حشرات بداخلها ٠"

واخذ الزهور وهزها بقوة ثم اتجه الى اندريا ووضع الزهور فوق أذنيها ٠ وخطرت لأندريا فكرة ولكنها استبعدتها بسرعة ٠

وأثناء الليل استيقظت أندريا وشقيقها بيتر من نومهما على صوت أجش صادر من مكان ما قريب منهما ٠ ولم يشعر الآخران بذلك الصوت إلا أنه في صباح اليوم التالي قال فرغسون أن الصوت الذي سمعاه لا بد أن يكون لنمر كان في طريقه للشرب من مستجمع مياه صخري ٠"

وقال بيتر وهو يقطع شرائح لحم لاعداد طعام الافطار لهم:

"لقد اعتقدت أن النمور قد بدأت تنقرض هنا ٠"

واتفق معه جيمس فرغسون في الرأي وأضاف قائلا:

"فعلا ٠٠ ليست هناك نمور كثيرة في هذه المنطقة ٠ كما أنه من غير المحتمل أن ترى نمرا أثناء النهار فعندما يسمع النمر صوت اقتراب أقدامنا لا يلبث أن يولي هاربا ٠"

وسألت أندريا:

"وماذا نفعل اذا صادفنا واحدا من هذه النمور ؟ هل نتسلق شجرة ؟"

"كلا، أفضل طريقة لمواجهة النمور، هي أن تقفي مكانك دون حراك ٠ وأن تحاولي ترويعه لطرده، إن معظم النمور

ليست بالوحشية التي تبدو بها، إلا أنها بالتأكيد سوف تطاردنا اذا ما جرينا ٠ أنها غريزة شائعة بين الحيوانات من فصيلة القطط ٠"

"ولكن أخشى أن تدفعني غريزتي الى الركض كالمجنونة ٠"

وضحكت أندريا ولكنها عندما تطلعت الى جيمس بقامته الطويلة وبنيانه القوي، أدركت أنها في الواقع لا تخشى شيئا طالما أنه معهم، وشعرت بالدم يندفع الى وجنتيها وبسرعة حاولت أن تشغل نفسها بوضع رباط جديد في حذائها ٠ وبعد فترة عندما اخذوا يستعدون للرحيل أقترب منها جوي قائلا في همس:

"أعتقد أنك لا تصدقين كل هذا الكلام عن النمور ٠٠"

"ولكنني أصدقه ٠٠ ولم لا ؟"

"ما أسهل خداعك يا أندريا ٠ أنه يريد بهذا الحديث أن يؤثر علينا ٠"

"هل تعتقد ذلك أظن أن رأينا فيه لا يهمه كثيرا ٠"

واخرج جوي سيكارة من حقيبته وقال وهو يشعلها:

"إذن لقد تأثرت بما قاله وبدأت تعتقدين أنه من النوع القوي العنيف ٠"

وردت أندريا:

"اليس هو من هذا النوع فعلا ؟"

وبدت السخرية في عيني جوي وقال:

"إذن تعترفين بأنك غيرت رأيك فيه ٠"

وسألته أندريا:

"ما الذي تهدف اليه ؟"

وأتاها الرد في تهكم ظاهر:

"ما الذي أهدف اليه؟ في أي حال أنك لا تعرفين متى قد تحتاجين اليه لينقذك من أخطار الوحوش!"

وبعد مضي ثلاثة أيام عندما بدا أن بحثهم أصبح

عديم الجدوى نزلوا على قبيلة صغيرة من الزنوج٠ وكان أفراد هذه القبيلة أقصر قامة من أفراد قبيلة تميار وكانت ملامحهم زنجية واضحة٠ وكانوا في بادىء الأمر يخجلون من الاوروبيين، إلا أن مشاعر اللطف والمودة أتاحت مكانا للصداقة، وأصبح أفراد القبيلة مهتمين بمعدات التصوير الخاصة بجوي، وبالصندوق السحري الذي يسجل أصواتهم ألا أنهم ردوا بالنفي عندما سألهم جيمس عن المكان الذي تتواجد فيه الكهوف في هذه المنطقة، ووجه جيمس حديثه للآخرين قائلا:

"لا تقلقوا، هؤلاء الناس من البدو الرحل، وربما لم يحضروا الى هنا من قبل٠"

وأبدى جوي ملحوظة عندما قال:

"يا لهم من أشخاص بائسين، أنهم ليسوا أفضل حالا من الحيوانات وأمسك بيتر غليونه بين أصابعه، وهو يقول:

"ولكنني لا أرى ذلك، أنهم يشعرون بالسعادة الكافية٠"

واستطرد جوي معقبا:

"لأنهم لا يعرفون ما يفتقدونه٠"

وأثارت هذه الملاحظات حوارا ساخنا بين الاثنين، تحول الى خلاف أوسع في الرأي، وانتهى بأن لجأ بيتر الى حقيبة نومه، واختفى جوي في الأحراش٠

أما جيمس فلم يشترك هو أو أندريا في هذا الحوار الساخن، حيث كان مشغولا بفحص أدواته الطبية٠ ولكنه لم يكن بعيدا عما يدور ولذلك فانه لم يلبث أن التفت الى أندريا موجها حديثه اليها، قائلا:

"لا تقلقي، فسوف يهدأ الأثنان في الصباح٠"

"آمل إنني لم أشاهدهما من قبل يتشاجران هكذا٠"

"غالبا ما تتأجج المشاعر هنا في الغابة٠"

"حقا؟٠٠ ولكنك لا تبدو كذلك!"

ونظرت أندريا الى وجهه وكانت تتأمله، ترى ما هي المواقف التي تؤثر فيه، كانت تظن في بادىء الأمر أنه عديم المشاعر، إلا أنها الآن بعد أن شاهدته وهو يعامل أهالي البلاد الاصليين - أقتنعت بأن العاطفة لا تنقصه، كما أنه أيضا لا يفتقد روح المرح٠ كذلك تذكرت أندريا تلك الليلة في شرفة الاستراحة، عندما فشلت في اقناعه بقبول مرافقتها لهم في الرحلة، والآن، ورغم أنه لم تعد هناك روح عداوة بينهما، لكنها لا تستطيع أن تزعم أن العلاقات بينهما أصبحت على أفضل ما يرام، وأن كل التحفظات سقطت٠

وفي هذه الاثناء عبرت فراشة كالسهم وحطت على المصباح٠ ثم طارت بعد أن أحست بحرارته واختفت في شعر أندريا، وحاولت أن تنتزعها، ولكنها عجزت، وهرعت الى جيمس وسألته وهي تميل برأسها أمامه:

"هل تستطيع اخراجها من شعري٠٠ من فضلك؟"

وفي ثوان، كان جيمس قد التقط هذه الفراشة ورفعت أندريا رأسها وفتح جيمس يده لترى شكل الفراشة٠ وسألته:

"هل تعتقد أن هناك أضرارا يمكن أن تحدث من جراء ذلك؟"

ولكنه لم يرد عليها، ورفعت عينيها نحوه فوجدته يتطلع اليها وليس الى الفراشة التي في يده٠ وتلاقت عيناها وبدا كأن شيئا لم يحدث٠ إلا أن أندريا أحست فجأة بشعور غريب، وحتى لو لم يكن غير عادي إلا أنه أخل بتوازنها بصورة لم تحدث لها من قبل٠ وأثناء ذلك، حركت الفراشة جناحيها وطارت مرة أخرى٠ وعندئذ أشاح جيمس بوجهه بعيدا، وانتهى الأمر! ولكن كان عليه بعد ذلك أن يذكرها بالحقيقة، فقال لها:

"حان وقت نومك٠"

"فعلا٠"

"حسنا ٠٠٠ طاب مساؤك٠"

ونهض جيمس واقفا ونظر اليها مرة أخرى، إلا أن نظرته هذه المرة كانت غير عادية!

واستدارت أندريا بسرعة، واتجهت الى مكان مبيتها. وعندما كانت تخلع ملابسها سمعت صرخات على بعد في الممر المظلم من الغابة، وشعرت أن هذه الصرخات لمخلوق صغير وقع فريسة حيوان مفترس من تلك الانواع التي لا يسمع لها دبيب.

وسواء كان هذا الحادث وقع كما تصورته أو لم يقع، فلم يكن في الحقيقة هو السبب في أنها لم تذق النوم في تلك الليلة.. ذلك أنها لم تشعر طوال حياتها بمثل هذه المشاعر التي انتابتها بعد نظرة جيمس لها.

إن مجرد التفكير فيما حدث يجعل ضربات قلبها تدق أسرع وأعنف وإذا كان جيمس يستطيع أن يفعل هذا فيها بنظرة واحدة فماذا يمكن أن يحدث لو...

وعندما وصل تفكيرها الى هذه الدرجة، سرت رعدة في كل جسمها، وقفز قلبها بين ضلوعها، ووجدت نفسها تتمتم في هلع واخلاص: إنني أحبه.

الشمس اشرقت على هذه الساحة الواسعة الخالية من الاشجار عندما أيقظ أندريا شخص يدق على كيس نومها، وكان هذا الشخص هو شقيقها بيتر. رفع عنها الناموسية، وكان يمسك بيده كوبا من القهوة، وقال وهو يضحك:

"سبق أن أيقظتك منذ نصف ساعة مضت، ولكنك عدت للنوم مرة أخرى."

وحجبت أندريا عينيها عن ضوء الشمس الساطع. وسألت:

"كم الساعة الآن؟"

"إنها الثامنة، من الافضل أن تنهضي وتشربي كوب القهوة."

ونهضت أندريا مسرعة وهي تقول:

"اشكرك يا بيتر، أنني لن أتأخر كثيرا."

"لا تتعجلي، استغرقنا جميعا في النوم ثم أنني لم أحلق ذقني بعد."

كان جيمس يعقد رباط حذائه عندما لحقت أندريا بالآخرين بعد عشر دقائق، وعندما ألقت عليه تحية الصباح، رد بايماءة من رأسه ثم اتجه ليقابل زعيم القبيلة الزنجية.

وبعد ذلك بدأت جولتهم التي استغرقت اليوم كله، واستعانوا بأفراد القبيلة في التنقيب في أجزاء الوادي ذي الشكل الهلالي.. ورغم أنهم صادفوا كثيرا من نتوءات حجرية، إلا أنهم لم يعثروا على أية آثار للكهوف.

ولم يحقق البحث في اليوم الثاني أي نجاح وعاد بيتر وجوي الى المخيم مرهقين للغاية بعد أن خاب رجاؤهما.

وقد انعكس ذلك على حالتيهما النفسية، فبعد أن تناولا الطعام اتجها مباشرة للنوم.

وكانت أندريا قد أمضت طوال اليوم بناء على تعليمات جيمس مع النساء الزنجيات والاطفال.

وسألها جيمس عندما رحل الآخران:

"هل يضايقك البقاء هنا بمفردك؟"

وهزت أندريا رأسها بالنفي وهي تقول:

"إنني أحب هؤلاء الناس وليس هناك ما يخيفني منهم."

وفي الصباح التالي عندما استيقظت أندريا من نومها، كان بيتر وجوي ما زالا نائمين، وكانت هناك ورقة معلقة على حقيبة نوم جيمس تقول أنه ذهب لكي يصطاد مع الزنوج، وأنه قد لا يعود قبل الظهر.

وحتى الساعة الثانية بعد الظهر، كان فريق الصيد لا يزال في مكان ما من الأحراش.

وسألتهما أندريا في قلق:

"هل تعتقدان أن شيئا حدث لهم؟"

ورد جوي في سخرية:

"هل يمكن أن يحدث ذلك ومع فريق الصيد السوبرمان!"
وتجاهلت أندريا هذا التعقيب من جوي واتجهت بنظرها الى شقيقها.
وقال بيتر وهو يطمئنها:
"لا أعتقد ذلك.. فربما لم يتمكنوا من صيد أي شيء في الصباح. وكانت الساعة جاوزت الثالثة بعد الظهر، وكان الآخران يرقدان في حقيبتي نومهما عندما سمعت أندريا اصوات الصائدين وهم عائدون إلا أن شعورها بالارتياح لم يدم كثيرا.. لأنه عندما ظهر جيمس في المنطقة الخالية من الاشجار، كان رداؤه ممزقا وملطخا بالدماء وكانت يداه وقدماه غير نظيفة.
وفي تلقائية، هرعت أندريا اليه وهي منزعجة جدا، لتسأله:
"جيمس هل أصبت كنت أشعر أن هناك شيئا على غير ما يرام.."
ونظرا جيمس الى قميصه الممزق حيث ظهرت كتفيه البنية عارية قوية، وقال في هدوء:
"إنه خدش بسيط."
"ولكن ما الذي حدث؟ ولماذا تأخرت؟ كنا قلقين عليك."
"هل كنتم قلقين فعلا؟"
قالها وهو ينظر الى الآخرين وهما يرقدان في الجانب الآخر من المنطقة.
واحمر وجه أندريا وقالت:
"ربما لم نكن قلقين بهذا المعنى بالضبط. ولكنك قلت أنك سوف تعود في الثانية عشرة هل أعد لك الطعام؟"
"نعم، فسوف تتحسن حالتي بعد الأكل، إلا انني أريد أولا أن أنظف نفسي."
وعندما كان في المستجمع المائي، أيقظت أندريا الآخرين وبدأت في اعداد وجبة له، وبعد أن خرج جيمس قال:

"وجدت الكهوف إنها في شمال الوادي في منطقة أحراش كثيفة ولكننا قمنا بشق طريق جديد وسوف نتحرك غدا الى هناك جميعا."
وقال بيتر مستغربا:
"معنى هذا أن هناك كهوفا فعلا."
وقد بدا جوي سعيدا بهذه الانباء وقال:
"ماذا عن النقوش هل وجدتها هناك أيضا!"
"في باديء الامر لم أكن أتوقع ذلك. هناك ثلاثة كهوف، الاثنان الصغيران لا يتسمان بالاهمية، أما الكهف الرئيسي فهو واسع وبه مستعمرة من الخفافيش تعيش فيه، والجدران مغطاه بالروث لدرجة أنك لا تستطيع أن تعرف ما تحتها، سيكون علينا أن نشعل بعض الاضواء، ونزيل هذه المواد العالقة."
وعندما دخلت أندريا الكهف الكبير الكئيب لأول مرة، كان سقفه مغطى تماما بمئات من الخفافيش، وكان جوه باردا بصورة غريبة بالمقارنة مع درجة الحرارة الشديدة في الغابة، وأحست أندريا برجفة تسري في عروقها ولم تكن الخفافيش هي التي أخافتها لأنها كانت تعلم أن ما يقال عن أنها تلتصق بشعر الرأس هو مجرد أسطورة، إلا أن شيئا مخيفا كان الى هذا المكان ولم تدهش عندما عرفت أن الزنوج الذين يؤمنون بالخرافات يرفضون الدخول في هذا الكهف.
وكانت عملية ازالة الطبقة السميكة لنفايات الخفافيش الجافة بطيئة وعملا مزعجا، إلا أنها أصرت على أن تشارك فيه، وعندما بدأت الشمس تنحدر نحو المغيب، كانت ملابسهم قد أصبحت متسخة الى تلك الدرجة التي كان جيمس عليها في اليوم السابق، وفي تلك الوقت جاءتهم المكافأة على جهودهم، ففي صرخة مفاجئة تتسم بالاثارة والاستغراب، دعاهم بيتر الى مشاهدة الجزء الذي يعمل

على تنظيفه.

"انظروا، هل تشاهدون هناك بعض النقوش تحت القشرة!"

وهناك على سطح الصخرة العارية كان يوجد رسم لحيوان ذي ناب وفي الصباح اليوم التالي اكتشفوا مجموعة كاملة من النقوش وبدأ جوي بتجهيز معدات التصوير استعدادا لالتقاط صور لها، وأثناء انشغال الآخرين في ازالة الطبقات التي تغطي النقوش خرجت أندريا مسرعة الى ضوء الشمس فبالاضافة الى الرائحة الكريهة التي كانت صادرة عن هذه النفايات الملتصقة بالجدران، كان ما زال هناك شيء في الكهف يحدث قشعريرة في جسمها ولم تكن قد صرحت بذلك لاحد، ولكنها أحست برغبة شديدة في الابتعاد عن هذا المكان.

وفي الحال خرج جيمس من الكهف ووجدها جالسة على الارض مستندة بظهرها الى صخرة وكانت عيناها مغلقتين.

وسألها جيمس بحدة:

"ماذا بك؟"

ونهضت أندريا بسرعة قائلة:

"كلا، لا شيء، خرجت الآن فقط لأستنشق بعض الهواء النقي."

"ولكن وجهك يبدو شاحبا، أرني لسانك."

وأخرجت لسانها في طاعة كاملة له.. وهنا سألها:

"هل تتعاطين أقراص الملح؟"

وقبل أن تجيب رفع ذقنها، وأخذ يتحسس عنقها برفق بأطراف أصابعه. وكانت أندريا تحاول أن تبدو متماسكة إلا أنه عندما اقترب باطراف أصابعه ناحية حلقها، أحست أن لمساته تختلف عن لمسات الطبيب وسألها جيمس:

"هل تعانين من امساك؟"

تراجعت الى الخلف بسرعة وقالت:

"كلا لا أعاني من ذلك" وأصبح وجهها قرمزيا.

"يا فتاتي العزيزة لا تتصرفي كطفلة، إذا كنت تشعرين بأية متاعب في بطنك، فأرجو أن تخبريني بذلك فورا."

وقالت مؤكدة:

"لا أعاني من ذلك."

وهز جيمس كتفيه وتركها وهو يقول:

"في أي حال سوف أعطيك جرعة من دواء ما هذا المساء.."

ودخل الكهف وأعادتها نبرات صوته الى تلك الفترة الحالمة في حياتها عندما كانت لا تزال في السادسة عشرة تلك الفترة التي يصبح فيها نبض القلب قويا وعاليا.

لقد أمضوا يومهم الأخير مع الزنوج في المخيم في الوادي وعندما استيقظوا من نومهم أحست أندريا رغم أنها لم تقل لأحد ذلك أنها فاترة الهمة وبعد أن تناولت وجبة الطعام إتجهت الى مستجمع المياه لتستحم وتغسل شعرها، ثم لفت نفسها في رداء السارنغ وجلست على صخرة تمشط شعرها.

ففي مثل هذا الوقت غدا، يباشرون رحلة العودة الى سونغي موسانغ، وخلال خمسة أو ستة أيام ستكون الرحلة قد أوشكت على الانتهاء.

وللوهلة الأولى، كانت فكرة عودتها الى حياة المدنية لا تشيع البهجة في نفسها، كانت تتطلع عادة بعد كل رحلة شاقة كهذه تستمر أسبوعا أو أسبوعين الى الوقت الذي تعيش فيه في ظروف مريحة ألا أنها في هذه المرة كانت لا تهتم بفكرة النوم في سرير نظيف. أو ارتداء فستان أنيق أو تصفيف الشعر على أحدث طريقة، والحقيقة أن هذه الفكرة كانت تثير اكتئابها كلما راودتها فعندما تنتهي الرحلة سوف تنقطع كل اتصالاتها مع جيمس، وربما لا تراه أبدا بعد ذلك كما أنه يبدو من تطور الامور أنه غير محتمل حدوث أي تغيير كبير في علاقاتهما خلال فترة تقل عن أسبوع.

نظر اليها مرة أخرى بطريقة ربما تنم عن شيء وحتى هذه النظرة قد تكون من خداع البصر بسبب ضوء المصباح ولعل ما يثير السخرية هو أنها الآن بعد فوات الآوان أدركت أن الصفات التي كانت تكرهها فيه في باديء الامر - هي نفسها التي جعلتها تحبه .

وسرحت أندريا بخواطرها قائلة لنفسها كان ينبغي علي أن أكون أكثر رقة ولطفا معه، ولم يكن ينبغي أبدا أن أجادله بعنف، أو أن اتخذ منه مثل تلك المواقف الصارمة:

ولم تتنبه أندريا الى اقتراب جوي منها، الى أن بادرها بقوله:

"هل فرغت مما تفعلين؟"

وأومأت برأسها علامة الايجاب، وقالت وهي تجمع حاجياتها وتهب واقفة:

"الجو يبدو حارا اكثر من أي وقت مضى، اليس كذلك؟ حتى المياه دافئة."

"لا تذهبي أريد التحدث اليك."

"الآخرون قد يرغبون في تناول بعض الشاي."

وامسك جوي بمعصمها محاولا منعها من الانصراف.

"فيم تريد التحدث يا جوي؟ أريد تغيير ملابسي، وربما نستطيع التحدث معا بعد العشاء."

"بعد العشاء سوف تتحججين بأعذار أخرى."

وحاول جوي جذبها للجلوس الى جواره، لكنها قاومته وهي تقول:

"إنني آسفة يا جوي، ولكنني لا أريد مناقشة أي شيء الى أن تنتهي هذه الرحلة."

"قد يكون الوقت متأخرا حينذاك، بل ربما يكون الوقت قد فات بالفعل."

"ولكن ماذا تعني بذلك؟"

"هناك شيء بينك وبين فرغسون. لقد كنت تكرهينه في باديء الامر، أما الآن فقد أشرفت على الافتتان به."

"إنك تبدو سخيفا يا جوي."

وحاولت أندريا الابتعاد عنه، لكنه أمسكها بعنف هذه المرة من كتفيها، وأحست أندريا بالالم، وطلبت منه أن يتركها لحالها.

وللحظة تلاقت نظراتهما في صمت، وجذبها جوي اليه وحاول عناقها رغما عنها، وقاومته بكل قوتها، حتى تركها واندفعت بعيدا عنه وقد اختل توازنها فوقعت على الارض بالقرب من الصخور وتألمت من جراء ذلك، ولم يكن الألم الذي أحست به وحده يجعلها تلتقط أنفاسها في معاناة.. وأنما كانت أيضا رؤيتها لجيمس واقفا في مواجهة جوي من دوافع الاحساس بهذا الالم.

وبادره جيمس بقوله:

"ما هذا الذي تفعله؟"

ورفع جوي يده محاولا توجيه ضربة الى جيمس، وتفادى جيمس الضربة بذراعه اليسرى، واعتقدت أندريا للحظة أنه سيطرح جوي ارضا، الا أنه اكتفى بدفعه بعيدا في احتقار شديد وهو يصرخ في وجهه:

"إن وجودك في الغابة لا يبرر لك التصرف بهذه الوحشية يا جوي. عد الى المخيم واهدأ."

ومد جيمس يده الى أندريا لمساعدتها على النهوض وهو يسألها:

"هل أنت بخير؟"

"نعم أشكرك."

"أصيبت قدمك بخدش، اجلسي وسوف أنظف الجرح. وأمسك جيمس بالمنشفة التي وقعت من فوق كتفها أثناء الشجار وغمسها في الماء، وعندما أنحنى لينظف الخدش الذي

أصابها أحست أندريا بشعور دافق بأن تمد يدها الى شعره الداكن وتلمسه...»

«وكيف حال يديك هل أصيبتا أيضا؟»

«كلا، لم يحدث شيء لهما.»

وفجأة عند اقترابه منها ونظرا لأنه يشعر دائما باحاسيس الناس في الوقت الذي لا يكشف فيه عن المشاعر أحست بالخوف من أن يستشعر ما تحس به نحوه، وهمست اليه:

«أرجو ألا تلوم جوي على ما فعل فلم يكن يقصد أن يتصرف بهذه الطريقة بل فقد عقله للحظة...»

وقال جيمس بعد أن فرغ من تنظيف الجرح:

«وهل المفروض أن يكون هذا عذرا له؟»

«لا ليس كذلك بالضبط، ولكنني عرفت جوي لفترة طويلة، واعتقد أنه سوف يعتذر في وقت لاحق عما بدر منه.»

وتساءل فرغسون:

«وهل ستعتذرين أنت له أيضا؟»

وحدقت في وجهه، وهي تتساءل:

«ولكني لا أفهم ما تقول؟»

ووقف جيمس مكتوف الذراعين وهو ينظر اليها نظرة ساخرة فاترة كتلك التي اعتادت أن تراها منه دائما، وقال:

«الناس عادة لا يفقدون عقولهم، كما ذكرت دون أن يسبق ذلك إثارة أو تحرش.»

وقالت في احتجاج:

«أنت تقصد توجيه اللوم الي على ما حدث، ولكن هذا ليس عدلا فلم يكن خطأي كلية.»

«هل أنت متأكدة من ذلك؟»

وقالت في أستغراب:

«بالطبع أنا متأكدة، لقد جذبني اليه بقوة.»

«ولكن ذلك لم يكن يحدث للمرة الأولى!»

واحمر وجهها، وهي تقول هامسة:

«ولكن الأمر هذه المرة كان مختلفا.»

«فهمت.»

«كلا، إنك لم تفهم، إنك تفهم فقط ما تريد، وإذا اعتقدت أنني شجعته على ذلك فأنت مخطيء.»

«حسنا، إذا كان هذا هو رأيك..»

«ولكنك لا تصدقني، اليس كذلك إنك تعتقد أنني شجعته!»

«وهل يهم ما اعتقده؟»

ولم ينتظر ردها، واستدار وتركها بمفردها عند مستجمع الماء.

ومع انتهاء رحلتهم في الادغال والتقاط العديد من الصور للحياة الغريبة هناك والنقوش النادرة التي كانوا يشكون في أمكانية الوصول اليها كان موقف العلاقات الانسانية بين رفاق الرحلة قد تغير تماما عما كان عليه عند نقطة الانطلاق الى الادغال.

كانت أندريا تشعر أنها حققت ذاتها بالمشاركة الايجابية معهم في مهمتهم، لم تعد عنصراً مظهريا في نظر فرغسون كما كان يحلو له دائما أن يقول، ومن ناحية أخرى أحست أندريا أن نظرتها لفرغسون أصبحت مختلفة تماما. لم يعد الطبيب هو ذلك الانسان ذو المشاعر الفاترة بل أظهر في أكثر من مناسبة عواطفه ناحيتها، أما هي فأصبحت تكن له مشاعر حب قوية، بل أصبحت تفضل حتى الحياة الصعبة في الادغال على حياتها المريحة في المدينة لأنها كانت تخشى ألا تستمتع بوجوده معها دائما.

أما جوي وفرغسون فتحدد موقف كل منهما تجاه الآخر. أصبح جوي يشعر بغيرة شديدة تجاه فرغسون الذي استطاع بتصرفاته الجادة المسؤولة أن يفوز بقلب أندريا وكان جوي يحس أن أندريا تتباعد عنه يوما بعد يوم.. لكن نظرته

اليها لم تختلف أبدا منذ أن بدأت الرحلة وبعد أن أشرفت على نهايتها، إنها مجرد وجه جميل، وقوام ممشوق، ولذلك فانها تستحق رعايته الدائمة.

أما بيتر فالموقف كله لم يكن غريبا عليه، اذ اعتاد مثل هذه الرحلات، كان يعرف تماما أن العيش في الادغال يحدث تفاعلات عميقة في العلاقات الانسانية، وأن تطور العلاقات بين رفاقه الثلاثة على هذا النحو أمر طبيعي وكان أكثر ما يهمه الآن هو أن الرحلة حققت النجاح المرجو لها.

٥ - لماذا لا ترحلين الآن؟

وفي ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي ودعوا أهالي المنطقة للبدء في رحلة العودة الى المدينة.

وعند الظهيرة، توقفوا لتناول الغداء في منطقة خالية من الاشجار بالقرب من مسقط مياه صغير، وكان المكان يشيع البهجة في النفس. كما أن المياه المتدفقة من الشلالات كانت تخفف بعض الشيء من شدة الحرارة في ذلك اليوم.

ومثل هذا الجو كان كفيلا بأن يبعث في أعماقهم مشاعر النشوة والسرور، ولكن الذي حدث أن وقت الطعام لم يكن مرحا وغلب عليه طابع الانطواء، فقد جلس جوي صامتا، بينما تبادل جيمس وبيتر كلمات قليلة.

أما أندريا فكانت هادئة، لم يكن لديها ما تقوله. قضت كل وقتها في محاولة تناول نصيبها من الأرز المسلوق ولحم السنجاب الشديد الملوحة، وكانت قد أحست بالغثيان قبيل وقت الرحيل، وعندما جلست للطعام، عاودها الشعور نفسه مرة أخرى.

وأثناء فترة ما بعد الظهر، كان الطريق الذي يعبرونه يفضي بهم الى تل يبلغ ارتفاع قمته ثلاثين قدما، وقال لهم جيمس:

"ان اجتياز هذه القمة سوف يوفر لنا من الوقت نحو الساعة."

ثم التفت الى أندريا وسألها:

"هل تستطيعين تسلق هذا التل؟"

وكانت هي المرة الأولى التي ينظر اليها مباشرة بعد الحادثة قرب مستجمع المياه ظهر اليوم السابق.

وردت قائلة:

"يخيل الي أنني أستطيع أن أفعل ذلك."

وعقب على الفور قائلا:

"وسوف أحمل حقيبتك عنك."

ومد يده اليها، فأعطته الحقيبة دون نقاش وعلقها على كتفه. والواقع أن عملية الهبوط من فوق التل لم تكن صعبة كما بدا اذ كان سطح الصخرة يوفر مواضع عديدة للأيدي والاقدام. ونظراً لأن أندريا لم تكن تضيق بصعود هذه الارتفاعات، فقد تبعته في الهبوط دون مشقة.

ونزل جوي بعدها ثم تلاه بيتر إلا أنه عندما أشرف شقيقها على الوصول الى السطح، تهاوى نتوء صخري تحت ثقل جسمه فسقط وارتطمت رأسه بالصخرة بقوة فوقع مغشيا عليه. وهرعت أندريا نحوه، وهي تصرخ منادية: بيتر! بيتر! وصرخ جوي هو الآخر ياالهي لقد سقط! أما جيمس فلم يقل شيئا بل أنزل ما كان يحمله عن كتفيه. وأبعد أندريا عن طريقه بدفعة قوية، ثم انحنى على ركبتيه بالقرب من بيتر.

وسأله جوي في فزع:

"لم يمت، أليس كذلك؟"

ونظر جيمس نظرة مطمئنة، ولكن لم يجبه، وبدأ يفك أربطة الحذاء الذي كان يستخدمه بيتر في الغابة، وبدأ بيتر يئن ويتوجع. فخلع له جيمس جوربه وبدأ في فحص رسغ قدمه بسرعة وفي خبرة وأدرك حقيقة ما حدث فقال:

"إنه التواء في المفصل، وسوف نحتاج الى نقالة يا رامزي."

وطلب منه أن يأخذ أداة القطع الحادة الخاصة به ليقطع شريحتين طويلتين من شجرة وحزمة من نباتات معينة

تشبه الكرمة، كما طلب من أندريا أن تخرج كل البطانيات وتعد أي شيء لاستخدامه كوسادة تحت رأسه.

وغاب جوي عنهم نحو ربع ساعة، وعندما عاد وهو يجر شجرتين صغيرتين، كانت الدماء تسيل من يده اليسرى بغزارة، وقال في حنق:

"لقد قطعت يدي تقريبا، إن هذه الآلة حادة جدا كالمخرطة!"

وبدت علامات الكآبة على وجه جيمس وهو يخاطبه قائلا:

"دعني أفحص يدك."

وفي هذه الاثناء كان بيتر قد استرد وعيه تماما، لكنه عندما حاول النهوض طلب اليه جيمس في حدة أن يبقى راقدا دون حراك.

ولم يكن جرح جوي غائرا كما كان يتصور، رغم أن يده كانت تدمى بغزارة. وحقنه جيمس ثم وضع مطهرا وطلب من أندريا أن تربط مكان الجرح بضمادة.

وقبل أن ينطلق هو للبحث عن تلك النباتات التي طلب من جوي احضارها، فلم يفعل بسبب اصابته، قال لهم جيمس:

"لا نستطيع أن نعسكر هنا، إننا بحاجة الى مياه جارية، النهر التالي لن يكون بعيدا عن هذه المنطقة." واستسلم جوي لأسعافات أندريا لكنه لم ينظر اليها أو يحدثها، وبمجرد أن انتهت من ربط الضمادة، انصرف وأشعل سيكارة.

وعندما عاد جيمس حاملا النباتات الخاصة، بدأ في أعداد حمالة قوية لنقل بيتر وكانت أندريا ترقبه وهو يجهزها، وتتساءل في نفسها إذا كان يجب أن يظل بيتر محمولا طوال رحلة العودة الى سونغي موسانغ. وإذا كان الأمر كذلك، فأن هذا يعني أن بقية الرحلة سوف تستنفذ ضعف الوقت الذي كان محددا لنهايتها.

وبعد أن فرغ جيمس من اعداد الحمالة طلب الى جوي أن يساعده في وضع بيتر عليها، وشاركت أندريا في

حمل شقيقها واخذوا يبحثون عن غدير قريب، ولم يمضوا في طريقهم مسافة بعيدة حتى بدا أن الطريق مغطى تماما بالنباتات الكثيفة والاغصان المتشابكة مما يجعل السير مستحيلا٠

وتوقف جيمس وهو يقول:

"يجب أن أمضي وحدي في المقدمة لكي أشق لكم طريقا هنا٠"

ثم التفت نحو أندريا قائلا:

"إذا وضعت حقيبتك فوق النقالة، فربما استطعت المساعدة في حمل بيتر لفترة من الوقت٠"

ودهشت أندريا وهي تسمع جوي في غضب قائلا:

"بالطبع لا تستطيع أن تفعل ذلك٠٠ هل تريد أن تقع هي الأخرى٠٠"

وقاطعته أندريا بسرعة قائلة:

"إنني أستطيع المشاركة في حمل بيتر يا جوي٠٠"

وقال جيمس بجدية ودون أن يهتم بما قاله جوي:

"يجب أن تحاولي وإلا اضطررنا الى البقاء هنا طوال اليوم!"

ثم التفت الى جوي قائلا:

"دعها تحمل من الناحية الخلفية يارامزي٠٠ وتتولى أنت المنطقة الامامية٠٠"

ولا شك أنه كان بوسع أندريا في الظروف العادية أن تساعد في حمل بيتر بدون صعوبة٠٠ إلا أنه بسبب شعورها بالاعياء فان المجهود الذي كان يتعين عليها أن تبذله للمشاركة في حمل النقالة كان أكبر بكثير ومع ذلك فان منظر شقيقها وهو راقد مغمض العينين جعلها تتحمل المشقة٠

وفي النهاية وبعد نحو أربعين دقيقة كأنها ساعات طويلة، أصبح الطريق خاليا من النباتات الكثيفة التي تعوق السير فيه٠

وهنا قال جيمس:

"حسنا، سنستريح خمس دقائق٠"

وأشار لهما بانزال الحمالة الى الارض، فسألته أندريا:

"هل راح بيتر في غيبوبة مرة أخرى؟"

ولا بد أن شقيقها سمعها، لأنه فتح عينيه وقال:

"آسف لازعاجكم بعد أن اصبت في رأسي٠"

ونهض جيمس قائلا:

"لا تقلق أيها الرجل العجوز، سوف نجعلك تشعر بالراحة فورا٠"

ثم نظرا جيمس الى اندريا وقال:

"هل أنت بخير؟"

وأومأت برأسها قائلة:

"نعم، هل جئت الى هنا من قبل؟ وهل نحن بالقرب من النهر؟"

"إن أقرب نهر على مسافة ساعتين أو ثلاث ساعات من هنا، ولا نستطيع الوصول اليه اليوم، إلا أن هناك احتمالا في أن نجد جدول ماء في المنطقة٠"

ورد جوي باستهزاء:

"المسألة هي أين يقع هذا النهر، الأمر سهل بالنسبة اليك ولكن حمل النقالة يحطم يدي، ولو سألتني لقلت لك أنه لم يكن من المستحسن أبدا أن نهبط من فوق التل، ولكنك كنت تريد الطريق الأقصر!"

وتجاهله جيمس تماما، ولكن أندريا كانت ترقب علامات الغضب بادية على وجهه٠ وكان وقت الغسق قد حل تقريبا عندما ترامى الى أسماعهم في النهاية صوت خرير مياه جارية، وفي هذه الاثناء كانت أندريا أصيبت بالاعياء تماما، وكان كل ما تريده هو أن تستلقي على الأرض حتى تظهر شمس اليوم التالي، إلا أنه كان يتعين عليهم قبل أن

يخلدوا للراحة أن يوفروا وقودا للنار، وأرزا للاكل، بالاضافة الى اعداد حقائب المبيت.

وقام جيمس باعداد كل شيء تقريبا، وبينما كان جوي وأندريا يرتشفان الشاي، كان هو يسكب ماء باردا على رسغ بيتر ويلفها بضمادة قوية، وهو يقول:

"إنه مجرد التواء مفصلي بسيط، وربما يستطيع السير غدا، وإذا لم يستطع ذلك، فسوف نتجه الى أقرب قرية، ونستأجر رجلين للمساعدة في حمل النقالة."

وعندما نام بيتر واختفى جوي بضع دقائق قالت أندريا لجيمس:

"كيف حال رأسه؟ ارتطم بقوة بالأرض، هل أنت متأكد أنه ليس كسرا بالعظام؟"

وأجاب جيمس قائلا:

"لست متأكدا إلا أنني أستبعد هذا الاحتمال، وليس هناك بالتأكيد ما يبعث على القلق."

وكانت أندريا تشعر بالسعادة لأن جيمس لم يكذب ففي مثل هذه الظروف، كان الأمر يتطلب في الاحوال العادية اجراء كشف بالاشعة على رأس بيتر، ولكن أمام الحقيقة التي يواجهونها فلم يكن أمامهم إلا أن يتمنوا أن تسير الأمور الى أحسن حال.

وعندما استيقظت أندريا في الصباح التالي كانت النار لا تزال مشتعلة. وكان جيمس جالسا بجوارها بالقرب من الصندوق الذي يضم أجهزة التسجيل، وكانت ذراعاه مكتوفتين وهو نائم.

ونهض جيمس بمجرد أن أحس بيد أندريا تلمس كتفه، وكان أول ما فعله هو التوجه الى شقيقها للاطمئنان على حالته.

وقالت أندريا عندما عاد الى مكانه بجوار النار المشتعلة:

"كنت ساهرا طوال الليل."

ورد جيمس وهو يتحسس ذقنه الطويلة، بينما بدت عيناه متعبتين من الارهاق والسهر الطويل:

"نعم، اعتقد أنه من الافضل أن أرعاه الليلة، ولو كان هناك أي كسر في العظام لكانت علامات تظهر بالتأكيد الآن، كما أن نبضات قلبه عادية وتنفسه سليم. وهو الان نائم بصورة طبيعية."

"الحمد لله.. ولكنك مرهق.. لماذا لا تذهب لتنام ساعتين؟"

"كلا، يتعين علينا أن نبدأ في وقت مبكر، سيكون يوما شاقا."

وعندما استيقظ بيتر من نومه، بدا كأنه استعاد صحته تماما. وبعد أن اختبر رسغ قدمه المصاب، أعلن أنه أصبح قادرا على السير. ومن حسن الحظ أن الطريق الذي سلكوه كان عند سفح التلال وكان جيمس يطلب اليهم كل نصف ساعة أن يتوقفوا لكي يستريحوا بعض الوقت. وكان يتوقع أن يصلوا الى النهر عند الظهيرة، ثم يتجهوا الى مخيم لقبيلة تميار، بعد ساعة من وصولهم الى هناك.

وعندما وصلوا الى النهر، كانت مياهه بطيئة الاندفاع موحلة وفض جيمس الخريطة التي يحملها. ونظر الى بوصلته، وقال أنه يجب عليهم أن يعبروه بسرعة لأن النهر حسب تقديره التقى مع رافد آخر وسيكون من الصعب بعد ذلك اجتيازه لارتفاع أمواجه وتلاطمها.

وقال موجها حديثه لهم:

"الأفضل أن تبقوا هنا حتى أتوجه أولا الى النهر واختبر عمق المياه."

وكانوا يرقبونه وهو ينزل الى النهر وكان واضحا أن المياه غطت أعلى ساقيه، ومعنى ذلك أنها سوف تصل حتى وسط أندريا. واختبر جيمس عمق النهر مرتين وهو يحمل

الحقائب. ثم قال:

"عليك أن تساعد سيد فليمنغ يا جوي، وسوف أعتني أنا بأندريا".

واستدارت أندريا لتهبط من ناحية ضفة النهر، أما الآخران فنزلا فعلا الى المياه، واندفع جيمس وراءها وهو يقول:

"انتظري يا أندريا".

ثم نزل هو الى الماء أولا ومد لها يده، واعتقدت أندريا في بادىء الأمر أنه يريد أن يساعدها على الهبوط، ولم تكن مستعدة أبدا أن يمسكها كما فعل من وسطها ويرفعها بذراعيه.

وقالت في دهشة:

"ماذا تفعل دعني أنزل الى الماء".

"ما زال امامنا طريق طويل علينا أن نقطعه، ولا داعي لأن يبتل جسمك، لا تقلقي فلن تسقطي من بين ذراعي!"

وتذكرت أندريا. لقد أخذها بين ذراعيه مرة سابقة بعد الظهر عند مستجمع مياه سانغي موسانغ، وحتى في ذلك الوقت ورغم أنها لم تكن تعرفه إلا لبضعة أيام فقط كان اقترابه منها يشلها تماماً.

كانت أندريا تدرك أنه قوي، إلا أنه استطاع رغم عدم نومه لأكثر من ثلاثين ساعة أن يحملها بسهولة وكأنها ليست أثقل من حقيبة، ولم تمض دقائق حتى كان جيمس قد عبر بها الى الضفة الاخرى البعيدة ولكنها كانت دقائق طويلة، انتهت بهذه العبارة:

"أشكرك".

قالتها له وهو ينزلها على قدميها حيث كان الآخران ينتظران. وقفز جيمس بسهولة خارجا من مياه النهر، ودون أن يرد على شكرها حمل حقيبته على كتفه ومضى معهم في المقدمة.

وفي الساعات الأولى من صباح اليوم التالي، استيقظت أندريا من نومها وهي تشعر برعدة شديدة، وأحست كأنها مقبلة على فترة مرض، وبعد مضي ساعة شعرت أن حرارتها ارتفعت، وعندما خرجت من حقيبة المبيت أحست أن الارض تدور بها. وفكرت أندريا:

يجب أن أخبر جيمس، ولكن كلا، ينبغي ألا أمرض الآن ليس في الغابة!

وعندما حان وقت ارتدائها ملابسها، احست أنها أفضل قليلا مما كانت عليه من قبل، ولكنها تعلم أن درجة حرارتها لا بد أن تكون أعلى من المعتاد وأنه ليس هناك من وسيلة لاخفاء وجنتيها اللتين اتسم لونهما بالاحمرار، وعينيها اللتين اصبحتا لامعتين بصورة غير عادية، وبدا لها أن جيمس سوف يلاحظ لكن كان هناك من الأمور ما يشغل جيمس في ذلك الصباح. إذ كان بين افراد قبيلة التيمار الذين قضوا الليل معهم امرأة عجوز مصابة بتقرح في قدمها بالاضافة الى عدد من الاطفال المرضى الذين يحتاجون الى رعاية طبية.

وفي الساعات التالية من صباح اليوم نفسه عندما استعدوا للانصراف كان برفقتهم ثلاثة من صبية قبيلة تيمار ممن وافقوا على العمل معهم كحمالين بقية الرحلة.

وبالنسبة الى أندريا كان الساعات الست والثلاثين في الغابة صراعا لم ينقطع بين جسمها وإرادتها. اذ استطاعت رغم أنها لا تعرف تماما أسباب اعيائها، ورغم خوفها من أن يكون شيئا خطيرا وربما مميتا - استطاعت أن تخفي حالتها الصحية عن الآخرين، وكان كل ما تفكر فيه هو أنه لا بد أن تتماسك حتى يعودوا الى سونغي موسانغ. وأنه مهما كلفها الأمر فسوف تخرج من الغابة على قدميها.

ووصلوا الى دار أسرة باكستر بعد الظهر، وكان الدكتور باكستر وابنته يجلسان في الشرفة عندما كانت سيارة الاجرة

التي استقلوها عند مشارف المدينة، تعبر بهم بوابة الدار.
"عدتم في الوقت المناسب لتناول الطعام، هل أمضيتم رحلة طيبة؟ أعتقد أنكم جميعا ترغبون في تناول مشروب قوي."

كانت هذه هي عبارات الدكتور باكستر في استقبالهم، وهي عبارات تتسم بالكرم والترحيب.

وكانت أندريا هي آخر من يخرج من السيارة، ووقفت لحظة تستند الى باب البيت، كانت ترتعش رعشة قوية، ولا تكاد ترى شيئا وشاهدت الدكتور باكستر وهو يمد يده اليها في ابتسامة رقيقة ويستطرد قائلا:

"هكذا.. أثبت جيمس أنه كان مخطئا يا آنسة فليمنغ؟"

وحاولت أندريا أن تحرك شفتيها لترد عليه، إلا أنها عندما بدأت في دخول الدار أحست بدوار وكأن العالم يدور حولها، وسقطت على الارض.

وعندما فتحت عينيها وجدت نفسها راقدة في غرفة خافتة الضوء، وكان هناك صوت ورائحة أثارا الحيرة في نفسها، وبعد دقائق تعرفت على هذا الصوت الذي كان صادرا من مروحة كهربائية تدور بجانبها أما الرائحة فكانت لسائل مطهر.

"هل تشعرين بتحسن؟"

كان هذا السؤال موجها اليها من الدكتور باكستر.. وعندما استدارت برأسها وجدته جالساً الى جوار سريرها. وحاولت ان تستجمع ذاكرتها لتتبين السبب في رقادها في هذا السرير.

وقال لها الدكتور باكستر:

"لقد كنت مريضة.. ولكن لا تقلقي.. فسوف نعمل على شفائك.. والآن حاولي النوم مرة أخرى.."

وعندما استيقظت للمرة الثانية لم يكن هناك أحد يجلس الى جوار سريرها.. وفجأة تذكرت ما جرى.. كيف عادوا من الغابة.. وكيف انهارت قواها في السيارة وقبل أن تطأ

عتبة بيت الدكتور باكستر وعندما سمعت بعض الاصوات في دهليز الدار، أغمضت عينيها بصورة تلقائية وتظاهرت بالنوم، ثم فتح الطبيب الباب.. وشعرت بوقع أقدام وكأن شخصا ما قد جاء للاطمئنان عليها..

وقال الدكتور باكستر في صوت خفيض:

"إنها لا تزال نائمة.. ولعل هذا أفضل شيء بالنسبة اليها. وقد لا تستيقظ حتى الغد.."

وسادت فترة من الصمت.. وأحست أندريا بحيرة: من معه هل هي ابنته أو أنه بيتر؟

"إن ما يحيرني هو كيف أنها استطاعت أن تتحمل كل ذلك طوال هذه الفترة؟"

إن حمى كهذه لا تحدث في دقائق.. ولا بد أنها شعرت بالمرض لأيام عديدة.. يا مسكينة.. إنني اعجب لماذا لم تخبرنا بذلك؟"

"فعلا أنه لأمر أريد أيضا أن أعرفة يا جيمس."

وسمعت أندريا صوت جرس الهاتف يرن. ثم أحست بوقع الأقدام تتجه الى باب الغرفة خارجة منه، وعندما أغلقا الباب وراءهما، التقطت أنفاسها وظلت أندريا لفترة راقدة، تفكر فيما ستقوله لجيمس إذا ما وجه اليها هذا السؤال، وفي هذه اللحظة أحست أنها ظمأى، ربما يكون هناك كوب من الماء على المنضدة، وفتحت عينيها ونظرت الى الخلف.

"آسف، هل أفزعك وجودي؟"

واتجه جيمس الى النافذة، وفتحها بطريقة تسمح بدخول بعض الضوء ثم عاد الى كرسيه بجوار السرير.

وأحست أندريا بالحيرة أكثر: هل أدرك أنها كانت يقظة طوال الوقت؟ هل تخلف عن الخروج من الغرفة متعمدا؟

"أتوقع أن تكوني ظمأى.. هل تريدين شيئا تشربينه؟"

ولم ينتظر جيمس ردها، فأحضر لها كوبا من الماء.. ولم

تكن تدرك مدى ضعفها إلا عندما همت بالجلوس على سريرها ، فلولا مساعدة جيمس لها لعجزت قواها عن تحمل ثقل جسمها ٠

"لا تقلقي بسبب احساسك بالانهيار ، فسوف يزول كل ذلك بمجرد أن تبدأي في تناول الطعام مرة أخرى ٠"

وارتشفت أندريا بعض الماء من الكوب الذي قدمه لها جيمس ثم قالت بصوت خفيض:

"كم من الوقت أمضيته هنا راقدة في هذا السرير ؟"

"ثلاثة أيام ٠"

قالها وهو يعيد كوب الماء الى المنضدة، ثم ساعدها على أن ترقد مرة أخرى، ثم غير مكانه حتى يجلس أمامها وجها لوجه، ولكنه لم يوجه اليها السؤال الذي كانت تتوقعه، وقال بدلا من ذلك:

"سأحاول النوم الآن، إن الساعة لازالت الثالثة، ربما تشعرين مساء اليوم أنك تحتاجين بعض الطعام ٠"

ثم مد يده بلطف ورقة الى رأسها لكي يرفع عن عينيها خصلة الشعر التي تهدلت فوق وجنتيها ٠

وفي اليوم التالي كانت أندريا قد شفيت تقريبا وكان عليها أن تتناول افطارا خفيفا ، وأثناء النهار حضر اليها باكستر ليقيس درجة حرارتها ويحقنها ٠ وقالت أندريا في وهن:

"انه لعطف منك ومن ابنتك يا دكتور باكستر أن تستضيفاني هنا ٠ وأخشى أن يكون وجودي سبب لكما عناء إنني أشعر بالذنب وخاصة بعد أن أختفيت فجأة من داركم في المرة السابقة ، ولابدانكم تضايقتم مني ومن تصرفي هذا ٠"

"أصارحك بأننا كنا قلقين عليك الى أن جاءنا رسول من عند جيمس ٠ إلا أنني لا أدعي بأن اختفاءك كان شيئا غير متوقع، أدركت في ذلك الوقت أنك لم تقتنعي برأي جيمس بالنسبة الى مرافقتهم لك في الرحلة ، والحقيقة أنني أريد أن أعرف رد فعل جيمس عندما لحقت بهم ٠"

وردت أندريا في أسف قائلة:

"ما زال هو صاحب الضحكة الأخيرة ! ؟"

"أتقولين ذلك لأنك مرضت أثناء الرحلة ٠ إن هذا لا صلة له بقدرتك يا عزيزتي، هذا النوع من حمى الغابة قد يصيب أي شخص، فلو حدث أن لدغت هذه الحشرة جيمس لكان هو نفسه انهار بل إنني أقول أنه لو أصابت هذه الحشرة أي واحد من الثلاثة الآخرين لكانت قواه قد خارت باسرع مما فعلت أنت، إن لديك قوة احتمال كبيرة ٠"

وأثناء النهار أشتركت مارغريت باكستر والخادم في مساعدة أندريا على الاستحمام، وأحست أنها أفضل بكثير بعد ان أصبحت نظيفة وترتدي ملابس جديدة، وجاءها بيتر ليطمئن عليها ، إلا أنه مكث معها دقائق قليلة فقط لأن المجهود الذي بذلته جعلها تشعر بالتعب مرة أخرى، وقالت الآنسة باكستر إنها تحتاج الى النوم فترة قصيرة حتى تسترد قواها من جديد ٠

وفي الساعة الرابعة بعد الظهر كان كل شيء ساكنا في دار باكستر ، وانسلت أندريا من سريرها واتجهت الى غرفة الحمام ٠ وتطلعت الى المرآة فوجدت وجهها شاحبا ٠ واعتلت الميزان وتبينت أن وزنها نقص وعادت الى غرفتها وحاولت اصلاح مظهرها ، وقبل أن تعتلي السرير مرة أخرى، سمعت طرقا على الباب، ودخل جيمس ٠ وبادرها بسؤال:

"هل أشار عليك الدكتور باكستر بمغادرة السرير ؟"

"كلا ٠ ولكني أحس أنني أفضل من ذي قبل ٠٠"

واقترب جيمس منها ، وتحسس جبهتها بيده ثم قال:

"اشعر ان درجة حرارتك ارتفعت مرة أخرى، منذ متى تركت سريرك ؟"

"منذ دقائق قليلة فقط، أردت أن أمشط شعري ٠"

"سوف أفعل ذلك ٠٠ لك ٠"

"أوه . كلا .. لا يهم الآن .. سوف أطلب من الخادمة أن تمشطه لي مساء اليوم ."

"لا داعي . فأنا أستطيع أن أقوم بذلك الآن ."

وأمسك الفرشاة في يده وجلس الى جوارها ، وبدأ في تمشيط شعرها .

"هل أصبح شعرك أفضل الآن ؟"

"نعم .. أشكرك جدا ."

"اعتقد أنه يجب عليك أن تبقي في سريرك حتى تنخفض حرارتك لمدة ثمان وأربعين ساعة على الاقل ."

"وما هي طول الفترة التي يجب انتظارها ؟"

"ربما ثلاثة أو أربعة أيام . وحتى في ذلك الوقت يتعين عليك الا تقومي بنشاط كبير ، وقد يتطلب الأمر أسبوعين على الأقل حتى تصبحي قادرة على السفر ."

وهز كتفيه قائلا :

"عليهم جميعا الانتظار . إن حمى الغابة يمكن ان يكون لها تأثيرات ضارة إن لم تعالج بصورة صحيحة ."

ولم تجادله أندريا كانت تعرف أن النقاش لا فائدة منه والى جانب ذلك كانت تشعر في أعماقها أنها لا ترغب في العودة الى انكلترا ، إن كل يوم في الملايو هو انقاذ لها من اليأس الذي بدأت تشعر به كلما احست أنها لن تراه أبدا بعد الآن .

وبعد فترة من الصمت ، قالت له :

"كيف حال الآخرين ، جاءني بيتر قبل الغداء ومكث لحظات وقال أنه بخير ، هل هو كذلك حقا ؟"

"نعم ، اصطحبته الى المستشفى في منطقة إيبوه وتم الكشف عليه بالاشعة . أما يد رامزي فلم يلتئم جرحها تماما ، ولكن هذا أمر عادي في هذا المناخ ."

وصمتت أندريا برهة ثم قالت دون أن تنظر اليه :

"هل يضايقك أنني لم أخبرك بأنني بدأت أشعر بالمرض

في الوقت المناسب ؟"

"وهل كنت تأملين أن أتضايق ؟"

"بالطبع لا .. لم يكن هذا هو السبب بتاتا ."

"إذن فلا بد أنني بليد الحس فلست أعرف سببا آخر ."

"كل ما قصدته هو ألا أكون عاملا مثيرا للشفقة والمتاعب .. بعد كل الظروف التي مربها بيتر وجوي وكان من الافضل أن أرجيء المسألة الى أن تنتهي الرحلة .."

"فهمت .. ولكن ماذا تصورت أن يكون مرضك ؟"

"لا أعرف .. كنت آمل ألا يكون مرضا معديا ."

"ألم يخطر ببالك أنني قد أستطيع الحد من هذا المرض قبل أن يستفحل ؟"

"هل كان باستطاعتك حقا ؟"

"ربما لم أكن أستطيع منعه تماما .. ولكنه كان في مقدوري على الأقل أن أجنبك التطورات الأسوأ التي حدثت فيما بعد ."

وشعرت أندريا بالسعادة عندما رأته يبتسم . فمنذ أن رآها تحاول جاهدة التخلص من ذراعي جوي وبعد أن اتهمها بأنها أثارت مشاعره عن عمد ، كانت تظن أنه لن يبتسم لها أبدا . وبدأت تفكر هل تغير مسلكه الآن تجاهها ، أو أنه يفعل ذلك فقط لمجرد أنها مريضة ؟ وأرادت أن تسبر أغوار نفسه ، فقالت له في رقة :

"بعد هذه المشقة التي تسببنا فيها لك أتوقع لك أنك تتمنى رحيلنا عنك ."

ورد بطريقة قاطعة :

"كلا .. إنني لن أقول ذلك أبدا ، والآن من الأفضل أن تنامي مرة أخرى فكلما حصلت على مزيد من الراحة ، كان شفاؤك أسرع ."

وفي ذلك المساء بعد العشاء جاء شقيقها الى غرفتها ليجلس معها ساعة ، وسرعان ما أدركت أندريا أن هناك

شيئا يشغل باله:
"إنك تبدو مشغولا يا بيتر ماذا حدث؟"
سألته أن يجيبها بصراحة بينما اتضح لها أنه لاينوي البوح بأية معلومات وتردد بيتر وبدا كأنه يريد أن يتجنب الرد عن السوءال واخيرا قال وقد ظهر عليه الخجل:
"الواقع أنني تلقيت رسالة صباح اليوم من نينا هل تعرفين؟ لقد غيرت رأيها!"
"عن أي شيء؟"
كانت أندريا تعتقد بأن علاقة بيتر ونينا انتهت نهاية عاصفة قبل بضعة أيام من بداية الرحلة.
وقال بيتر موضحا:
"لم اذكر لك كل الحقائق من قبل.. ولكن السبب الذي أحدث هذا الفراق هو أنني طلبت الزواج منها، ولكنها رفضت.. الواقع أنها لم ترفض الا بعد أن أخبرتها فقد طلبت منها إما أن تتخلى عن وظيفتها، وأما أن تعتبر الموضوع منتهيا. اختارت أن تستمر في عملها رغم أنني لا أرغب في ذلك!"
"لقد كنت قاطعا تماما."
ولم تكن أندريا تظن أبدا أن شقيقها يمكن أن يقوم بدور العاشق المسيطر هكذا.
وهز كتفيه قائلا:
"كان الأمر من قبيل التفكير السليم، فلسنا في حاجة الى مرتبها لمساعدتنا على مواجهة الحياة، كما أنني لا أرى فائدة من الزواج إذا كنا سنفترق كلما أردت السفر للخارج."
"ولكن ماذا سيكون عليه الحال عندما تنجب أطفالا أعتقد أنه سوف يتعين عليها في ذلك الحين أن تبقي بالبيت؟"
"حسنا فانني أريدها معي، وفي أية حال أرسلت لها برقية أبلغها أننا سنبقى هنا الى أن تستعيدي صحتك تماما. وطلبت منها أن ترتب تفاصيل الزفاف، فليس هناك داع

لفترة خطبة طويلة."
وابتسم بيتر وكانت هذه هي المرة الأولى التي يبدو فيها سعيدا فعلا منذ الفترة القصيرة التي سبقت مغادرتهم لندن، وأضاف قائلا في مرح:
"وربما تغير رأيها مرة أخرى، إنكن أيتها النساء مخلوقات لا تعرفن المنطق." وردت أندريا في اخلاص:
"أوه، بيتر، انني سعيدة جدا لأن الامور بدأت تسير على ما يرام. انت أحببت نينا دائما وانا متأكدة أنك تتوق الآن الى العودة اليها، فلماذا لا تفعل ذلك الآن، ليست هناك أية اسباب حقيقية لانتظاري، كما أنه لا داعي أبدا لبقاء جوي ممكنه أيضا أن يذهب معك."
فقال بيتر بصراحته المعهودة:
"الحقيقة أنني فكرت في ذلك."
ثم قطب جبينه وهز رأسه قائلا:
"كلا.. إننا لا نستطيع أن نتركك هنا.. لن يكون هذا تصرفا صائبا."
"ولم لا، جيمس يقول أنه قد يمضي أسبوعان قبل أن أستطيع السفر وبالنسبة اليك فان الأمر يعتبر مضيعة للوقت، في حين تستطيع مساعدة نينا لاعداد الزفاف. وسوف يكون هناك الكثير عليك أن تفعله."
وكان واضحا أن بيتر يميل الى ذلك.
"ولكن ما الذي ستفعلينه بالنسبة الى رحلة العودة الطويلة ربما تشعرين بالارهاق والتعب."
"أوه، هذا هراء ففي الاسبوع المقبل سأكون متمتعة بصحة جيده تماما. وحتى لو كنت أشعر ببعض الانهاك، سيكون هناك من حولي الكثيرون من موظفي الطيران لمساعدتي."
وأنهى بيتر الحوار حول هذا الموضوع بقوله:
"حسنا.. سوف أفكر في الأمر!"

وفي صباح اليوم التالي، بعد دقائق من زيارة الدكتور باكستر لأندريا سمعت طرقا على باب غرفتها • وكانت تأمل أن يكون الطارق جيمس فقالت:

"ادخل •"

ولكنها فوجئت بجوي يفتح الباب، وكان آخر من تفكر في أن يزورها • ولا بد أن شيئا من الدهشة وخيبة الامل ظهر على وجهها لأنه لم يتقدم أكثر من عتبة الباب •

وسألها في هدوء:

"هل أستطيع لقاءك لبضع دقائق؟"

"نعم •• بالطبع ••• تعال واجلس ••"

وكان جوي قد تغير منذ رآته آخر مرة فحلق لحيته وقص شعره، وكان مظهره بصفة عامة يشبه المظهر الذي كان عليه قبل دخولهما الغابة، وقالت له أندريا:

"سمعت أن يدك لم تبرأ بعد، هل تؤلمك؟"

"كلا، إنني أحس فقط بالرغبة في حكها، ولكن كيف حالك؟"

ومضت فترة من الصمت • ثم قال جوي:

"أندريا، ربما لا أعرف كيف أعبر لك عما في خاطري، وربما لا يكون هناك فائدة من قول أي شيء، ولكنني أعتذر عما حدث بعد ظهر ذلك اليوم •"

"حسنا جدا • فلننس كل ما حدث •"

وتساءل في صوت خفيض:

"هل تستطيعين نسيان ذلك حقا؟"

"لقد نسيت ذلك فعلا، وعلى فكرة هل حدثك بيتر عن أي اقتراح يتعلق بسفركما قبلي الى انكلترا؟"

"نعم •• أبلغني بذلك أمس، ولكنني لا اعتقد أنه سعيد بذلك •"

"حسنا، سألت الدكتور باكستر وليس لديه أي مانع • وإذا اتصل بيتر هاتفيا بمطار سنغافورة قد يجد مقعدين

خاليين في رحلة الغد، أرجو أن تقول له أنها فكرة طيبة •"

وكان جوي يبدو مترددا، إلا أنه بعد لحظات، تماسك مرة أخرى، وقال:

"حسنا، سأتحدث اليه الآن، اعتني بنفسك يا آندي •"

ثم غادر الغرفة •

كانت أندريا تعالج يديها بمستحضر للتجميل عندما دخل جيمس الى غرفتها مساء للاطمئنان عليها، ومعه وعاء فيه مجموعة من الزهور وقال وهو يضعها على المائدة:

"ربما تريدين شيئا يبعث البهجة في نفسك •"

وجلس جيمس على حافة السرير، وقال:

"سمعت أن بيتر وجوي يعتزمان العودة بدونك •"

"نعم لقد وجدا مقعدين خاليين في الرحلة الجوية مساء غد •• ولذلك سيتجهان في القطار الى مدينة أيبوه صباحا • أعتقد أنه لا مانع لديك؟"

"كلا •• مادمت توافقين على البقاء هنا •"

"الشيء الوحيد الذي يقلقني أنني قد أسبب ضيقا لأسرة باكستر •"

وفي هذه الاثناء دخلت الخادمة الصينية تحمل صينية الشاي لأندريا، ثم طلب جيمس منها فنجان شاي آخر •

وسأل أندريا:

"كيف شهيتك للأكل؟"

"ليست سيئة، إنني لا أتوقع الشعور بالجوع لأنني لا أبذل أي نشاط •"

"ولكن يتعين عليك أن تحاولي الأكل قدر ما تستطيعين، فأنت الآن نحيفة جدا •"

وفجأة تناهى الى سمعهما صوت طرقات على الباب، ثم دخلت مارغريت باكستر وقالت:

"جيمس •• لم أكن أعرف أنك عدت؟"

ونهض جيمس عن السرير واستدار اليها قائلا:
"نعم، قررت المجيء مبكرا اليوم، كنت اعتزم لتوي تناول بعض الشاي مع أندريا سأحضر لك فنجانا".
"كلا، شكرا، فلقد تناولت الشاي من قبل في دار الارسالية، إنني ذاهبة الى حمام السباحة لمدة ساعة، هل ستأتي الى هناك أنت أيضا؟"
"نعم، سأحضر".
وسأل أندريا:
"هل أترك لك هذه الزهور أم لا؟"
فقالت:
"نعم.. إنني أريدها معي. شكرا لك".
وخرجت مارغريت باكستر من الغرفة، وتبعها جيمس وهو يقول:
"سنراك في وقت لاحق".
وفي ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي اصطحب جيمس في سيارته بيتر وجوي الى محطة القطار في سنغفورة، ورافقتهم مارغريت التي كانت تعتزم شراء بعض الحاجيات.
وبعد رحيلهم بنصف ساعة، قفزت أندريا من سريرها ووجدت أن قدميها عادتا الى حالتهما الطبيعية تقريبا، وتوجهت الى الحمام لتغسل شعرها. وعاد الدكتور باكستر لتناول الغداء، إلا أن الآخرين لم يعودوا إلا بعد العشاء، وطوال هذه الفترة كانت أندريا تسرح بخواطرها: ما الذي كان يمكن أن يحدث لو أن مارغريت لم تقطع زيارة جيمس لها بعد ظهر اليوم السابق، إلا أنها رغم هذه الخواطر كانت تساورها بعض الشكوك في أنه ربما يتسلى بها فقط.
وبنهاية الأسبوع سمح لها بأن تقضي معظم النهار على أريكة في الشرفة، ولكنهم كانوا يصرون على أن تأوي الى فراشها في الساعة السابعة مساء، ولم تكن أندريا

ترى جيمس بمفرده أبدا وكان يعلم أنها تظل تقرأ في غرفتها حتى العاشرة مساء. وكان باستطاعته أن يجد مبررا لزيارتها، إلا أنه لم يفعل ذلك. وكلما تحسنت صحتها، ازداد قلقها وكآبتها.
وفي يوم الاثنين استطاعت أندريا أن تقنع الدكتور باكستر بأن يسمح لها بالتجول في المدينة لتقص شعرها في صالون حلاقة صيني، وكان هذا الصالون متواضعا بالمقاييس الانكليزية، إلا أن المرأة التي كانت تديره كانت ماهرة على مستوى مصففي شعر السيدات في لندن، وقد خرجت أندريا من الصالون وشعرها يلمع كما تحسنت معنوياتها كثيرا.
وعندما حان موعد العشاء، ارتدت فستانا أزرق جميلا لم يسبق لها أن ارتدته في الملايو، وامضت خمس عشرة دقيقة تتزين أمام المرآة، أما مارغريت فكانت تتسلى بأشغال التطريز في الشرفة عندما خرجت أندريا إليها. ووضعت أشغال الابرة بجوارها، وقالت:
"إن الآخرين لن يعودوا قبل نصف ساعة، وأريد التحدث اليك".
كانت أندريا تشعر تماما بمشاعر العداوة التي تكنها مارغريت لها منذ أن شفيت من الحمى، أما الليلة فقد ظهرت العداوة علنا في التعبيرات التي بدت على وجه مارغريت وفي نبرات صوتها، ودون مقدمات قالت لها:
"ألا تعتقدين أنه حان الوقت لعودتك الى انكلترا؟"
وتحركت أندريا الى سور الشرفة واتكأت عليه، ثم قالت:
"ذلك يتوقف على رأي والدك وجيمس. إنهما يقولان أنني حتى هذه اللحظة لم استرجع لياقتي الكاملة للسفر".
وردت مارغريت في حدة:
"ولكنهما لا يستطيعان ارغامك على البقاء هنا".
"هذا صحيح.. إلا أنه من دواعي نكران الجميل أن

أترك الدار دون أن أستأذنهما ألا تعتقدين ذلك٠"

"لكنك فعلت ذلك من قبل، والأمر كان مختلفاً بالطبع، في المرة السابقة كنت تريدين السفر، أما هذه المرة فأنك مصممة على البقاء لأطول فترة ممكنة!"

"وما الذي يجعلك تقولين ذلك؟"

ونظرت مارغريت اليها في امتعاض، ثم قالت:

"لا بد أنك تعتقدين أنني عمياء لا أرى، إنني اعرف لماذا ترتدين كل هذه الأزياء الجميلة الليلة، إنني اعرف ما تريدين، إنك تتعقبين جيمس وتطاردينه في كل وقت٠"

وقالت أندريا في هدوء وقد شعرت بأنه لا جدوى من انكار الحقيقة٠

"إنني أحبه٠"

ويبدو أن صراحة أندريا أدهشت مارغريت تماما، فقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة تنم عن الأسى، وهي تقول:

"حسنا٠٠ إنه من الواضح جدا أنه لا يعبأ بك٠"

"أصحيح ذلك، وكيف عرفت؟"

وهزت مارغريت كتفيها قائلة:

"قد يفتتن بك موقتا، إن جميع الرجال سواء عندما يقابلون فتاة لعوبا مثلك، ولكن لا تتصوري أبدا أنه سوف يتزوجك٠"

"ولم لا؟"

تساءلت أندريا في هدوء دون أن تفقد أعصابها٠ وردت مارغريت دون أن تلتفت اليها:

"لأنه ليست هناك أية صفات مشتركة بينكما، جيمس متفان في عمله٠ وسيظل عمله هو جوهر حياته دائما، وسوف لا يعجبك ذلك، أنت تتوقعين أن يركز اهتمامه عليك أولا٠"

واستدارت أندريا نحوها وقالت وهي تواجهها:

"إن ما تقولينه في الحقيقة هو أنك تريدينه زوجاً لك، ولكن هل تحبينه؟"

وأحمر وجه مارغريت وبدت عليها مشاعر الغضب وهي تقول:

"انا اعتبر هذا السؤال وقحا، إنني لا أريد ان أعلن عن عواطفي٠"

واحست أندريا أن زمام أعصابها بدأ يفلت منها، فقالت لها:

"حسنا٠٠ ليس هناك ما يدعو الى مناقشة ذلك، المهم هو ما يشعر به جيمس٠"

وجلست مارغريت وهي تحملق في الأرض وفجأة انفجرت غاضبة وهي تقول:

"لماذا لا ترحلين الآن؟ ألا تفهمين أنك شخص غير مرغوب فيه؟"

ونهضت واقفة، وصرخت في صوت عال:

"إن جيمس لي هل تسمعين٠٠٠ انه لي ولا يريدك لقد قال لي هو نفسه أنك مجرد فتاة عابثة مدللة٠"

وفي هذه اللحظة عبرت سيارة باكستر البوابة الى صحن الدار٠ وادركت أندريا أن مارغريت قد اقتربت من حالة الهستسريا فقالت لها في حدة:

"لقد عادا٠٠ يجب أن تجمعي شتات نفسك الآن يا مارغريت٠"

وللحظة شعرت أندريا أن مارغريت تهم بضربها٠٠ ثم سمع صوت باب السيارة وهو يقفل ويبدو أن هذا الصوت منع غضبها من الانفجار، فانهارت في تشنج على كرسيها وانفجرت باكية٠

وقفز جيمس سلم الشرفة بخطوة واحدة، ولم ينظر الى أندريا وتوجه مباشرة الى مارغريت٠

"ماذا حدث يا مارغيت؟"

وركع الى جوار كرسيها وربت بيده على كتفيها المرتعشتين٠ ويبدو أن لمسات يده قد أشاعت في

نفسها الهدوء، رغم أنها أبقت يديها فوق وجهها.
وفي الوقت نفسة توجه الدكتور باكستر بالسؤال الى أندريا:
"ما الذي حدث لها؟"
وقبل أن تتمكن أندريا من الاجابة، اسندت مارغريت رأسها على كتف جيمس العريض وأجهشت بالبكاء مرة أخرى.
لم تكن مشاعر الحب التي تكنها مارغريت للدكتور فرغسون أمرا غريبا على أندريا، بل أحست في مناسبات كثيرة أن هناك علاقة ما تربط بين الاثنين، ولكنها رغم ذلك لم تكن تتوقع أن تحدث بينها وبين مارغريت مثل هذه المواجهة. صحيح انها تشعر بان مارغريت تنافسها للفوز به إلا أنها تدرك في الوقت نفسه أنها ليست من ذلك الطراز الذي يمكن أن يستأثر بعاطفة هذا الرجل.
وكان أكثر ما يضايق أندريا الآن أنها لا تريد أن تبدو فتاة ناكرة للجميل، كانت تحس بكرم ضيافة الدكتور باكستر وبسخائه. ولا تريد الاستسلام في صراعها مع مارغريت من أجل الفوز بالدكتور فرغسون. إن اكثر ما كان يؤلمها هو ذلك التعاطف العميق الذي بدا على الطبيب الشاب وهو ينحني ناحية مارغريت في محاولة لتهدئة مشاعرها.. فرغسون لم يفكر حتى في مجرد النظر اليها، لم يستفسر منها عما حدث لقد كانت كل هذه المشاعر تكاد تدفع بها الى عمل متهور، لماذا لا تنسل الآن خارجة من البيت لتستقل أول طائرة الى لندن؟ ولكن ألا يعني ذلك أنها عجزت عن مواجهة غريمتها، وبدأت أندريا في استعادة هدوئها واتزانها وفضلت أن تعطي نفسها فرصة للتفكير والروية.

٦ - حذاء خفيف في ليلة ماطرة.

وبينما ضاعفت مارغريت عويلها وصراخها، اندفع صبي هندي من بوابة البيت وراح يلهث وهو ينقل رسالة باللغة المحلية وهرع الدكتور باكستر الى السيارة قائلا:
"حادثة عند مفترق الطريق، ويجب أن أتوجه الى هناك فورا. أرجوا ان تعالج الموقف يا جيمس."
وعندما انطلق بسيارته، قام جيمس برفع مارغريت الى داخل الدار، ثم عاد بعد مضي نحو ربع الساعة، وقال:
"أعطيتها مهدئا، والآن من الأفضل أن ألحق بالدكتور باكستر فربما يكون في حاجة الى المساعدة."
وفي الساعة العاشرة، كانت أندريا مازالت تقطع الشرفة جيئة وذهابا عندما عاد الرجلان، ولما وصل الدكتور إلى دائرة ضوء المصباح رأت أندريا أن بنطلونه ملطخ بالدماء والقذارة.
قال ردا على سؤالها الذي لم تفصح عنه:
"لقد توفي شخص، وأصيب آخر بجراح خطيرة بسبب الدراجات البخارية."
أما جيمس فقد اتجه مسرعا إلى غرفة نوم مارغريت.
ووجه باكستر حديثه الى أندريا فقال لها:
"أخبري الخادم ياعزيزتي أننا عدنا.. فمن الأفضل أن أغتسل."
وقد بدا أن الدكتور باكستر نسي تماماً تصرفات ابنته

الهستيرية، وكان الارهاق يبدو على وجهه، وأومأت أندريا برأسها، وتوجهت داخل الدار عبر الحديقة الخلفية الى المطبخ، وطلبت من الخادم أن يعد وجبة عشاء لشخصين.

وعندما عادت للدار مرة أخرى، فكرت في أن تدخل غرفة نومها. إلا أنها رجحت أن يرغب الرجلان في الاستفسار منها عما حدث في وقت سابق، ولذلك قررت أن تبقى.

كانت أندريا قلقة طوال الوقت وتساءلت كيف تستطيع أن تروي ما حدث من انهيار عصبي لمارغريت دون أن تكشف عن السبب الحقيقي لذلك.

وحدث ما كانت تخشاه، اذ كان جيمس هو أول شخص يلحق بها الآن، كان شعره لا يزال مبتلا، وكان من الواضح انه أخذ حماما سريعا قبل أن يغير ملابسه.

وعندما اقترب من غرفة الجلوس، قالت له:

"إن عشاءك في الطريق اليك، هل اعد لك شرابا ؟"

"لا .. إنني لم أتناول أي طعام منذ الغداء، وقد يطلبوننا مرة أخرى."

ثم توجه بسرعة الى غرفة الطعام، واتجهت أندريا الى النافذة كانت وجبة غريبة، كانت أندريا تجلس في مكانها المعتاد تأكل قطعة من البسكويت والجبن، أما الرجلان فكانا يناقشان أثناء تناولهما عشاء كاملا، المضاعفات المحتملة في حالة الشخص المصاب ولم يشر أي منهما الى مارغريت.

وأخيرة قال الدكتور باكستر:

"أعتقد أنني سأتوجه الى عيادتي قبل أن أعود ولا داعي لمجيئك يا جيمس، فقد نستدعي سويا قبل حلول الصباح."

واندفع باكستر خارجا بدون أن يلقي تحية المساء على أندريا أما جيمس فقد ملأ فنجانا آخر من القهوة، واعتدل في جلسته، وبدا كانه نسي هو الآخر وجود أندريا في الغرفة.

ودخلت الخادمة الغرفة لتزيل آثار الطعام عن

المائدة، وربتت على كتف جيمس تسأله إذا كان يريد فنجان قهوة آخر، وتنبه جيمس الى وجودها فقال:

"نعم، وهل تجهزين لي سريرا، فسوف أمضي الليلة هنا."

ولاحظ جيمس أن أندريا تجلس في هدوء على الناحية الآخرى من المنضدة، فقال لها:

"يجب أن تتوجهي الى سريرك الآن."

ولم تدرك أندريا ماذا تفعل، لقد كانت تتوقع من جيمس أن يبدأ في استجوابها عما حدث بمجرد دخولها الغرفة، إلا أنه يبدو الآن وكأنه يريد تجاهل الحادث كله، وردت عليه قائلة:

"فعلا ... من الأفضل أن أنام الآن.. طاب مساؤك.."

ورد عليها دون أن يلتفت اليها:

"طاب مساؤك."

وبعد نصف ساعة سمعت أندريا رنين الهاتف ورد جيمس فوراً، ولم تمض سوى دقائق قليلة حتى سمعت صوت السيارة تنطلق.

وظلت أندريا مستيقظة فترة طويلة في الظلام لا تستطيع النوم كانت لا تستطيع أن تبعد عن خيالها صورة اللحظة التي ركع فيها جيمس الى جوار كرسي مارغريت وأخذها بين ذراعيه وهي تبكي!

ولم يكن هناك أحد في الصباح اليوم التالي عندما خرجت أندريا من غرفتها، وكان واضحا أن جيمس مازال في العيادة الطبية. إن ساعات الفجر التي تسبق الافطار هي أسعد فترات النهار كله حيث تبدو الحشائش مبللة برذاذ الندى، ويكون الهواء باردا باعثا على الانتعاش، وعلى المرمى البعيد تبدو تلال الغابة النائية مغطاة بالضباب الأبيض.

الا ان أندريا لم تكن تحس بما حولها وهي تتجول في الحديقة كان نومها متقطعا بسبب تواتر من الاحلام المزعجة، ثم استيقظت في نهاية الأمر وهي تتوقع حدوث أزمة.

وكانت الساعة قد اشرفت على السابعة والنصف صباحا، والخادمة تعد المائدة في الشرفة، عندما سمعت صوت سيارة تقترب، وعرفت أندريا حتى قبل أن تراها أنها سيارة جيمس، لقد شعرت برغبة في العودة داخل الدار، ولكنها بدلا من ذلك عبرت الحديقة ناحية مكان وقوف السيارة وبادرته بقولها:

"صباح الخير .. كيف حال مريضك؟"

"كان على وشك الموت أمس، ولكنني أعتقد أن صحته سوف تتحسن اليوم. هناك سيارة اسعاف سوف تنقله اليوم الى ايبوه، وفضلت أن أسبح بعض الوقت حتى استعيد توازني وأشعر بالانتعاش."

وسارت معه أندريا الى الشرفة وسألته:

"ألم تنم أبدا الليلة الماضية؟"

"كلا .. ولكني سآخذ قسطا من النوم بعد الافطار."

ودخلت الخادمة وهي تسأل:

"هل تريد الطعام الآن ياسيدي؟ السيد باكستر وابنته لم يستيقظا بعد."

ورد جيمس قائلا:

"نعم .. سنتناول الافطار الآنسة فليمنغ وأنا، أرجو ألا تزعجي الدكتور باكستر الآن، ولكن إذا كانت الآنسة باكستر مستيقظة، فأرجو ابلاغها أنني أريد أن تتناول أفطار اليوم في سريرها، وسوف اجيء للاطمئنان عليها."

وبعد أن مضت الخادمة التقطت أندريا أنفاسها، وحاولت أن تبدو هادئة وهي تقول:

"جيمس، بالنسبة الى مارغريت ..."

إلا انه قاطعها بسرعة قائلا:

"مارغريت محتاجة الى التغيير، واليوم سأصطحبها بعد الظهر في سيارتي الى مدينة بينانغ لكي تقيم مع بعض

الأصدقاء عدة أيام."

ونظرت أندريا اليه في ضيق، هل قرر ذلك الآن فورا، أم أنه اتفق على ذلك مع والدها أثناء الليل، وإذا كان الأمر كذلك فما الذي يتصور أن مارغريت تعاني منه. إن الاثنين طبيبان ولا يمكن أن يصدقا أن ما حدث كان نتيجة لمجرد الاحساس بالكآبة.

ولم يتبادل جيمس الحديث معها طوال تناوله للطعام، وسرحت أندريا بخيالها مع ذكريات الرحلة، ثم بادرته بقولها:

"اعتقد أنه حان وقت رحيلي عن هذا المكان، إنني متأكدة أنني قادرة الآن على السفر."

فأجابها الدكتور فرغسون:

"نعم .. أعتقد ذلك .. وسوف اصطحبك الى سنغافورة عندما أعود من بينانغ، عن أذنك."

ونهض مبتعدا عن المائدة الى داخل الدار وهو ممسك بفنجان الشاي في يده، وأمضت أندريا طوال النهار في غرفتها، وكانت قلقة تساورها شكوك كثيرة في تصرفات جيمس.

وفي وقت الظهيرة بدأت السحب تتجمع في السماء وتبع ذلك هدير من الرعد، وهطلت الامطار غزيرة كالسيول، إنها أول عاصفة ممطرة تشهدها أندريا في الملايو، وخلال ثوان قليلة بدت الحديقة أكثر نضرة بعد أن اغتسلت كل نباتاتها. ويبدو أن مركز العاصفة كان فوق الدار مباشرة، فبالاضافة الى هدير الرعد كانت الضجة التي يحدثها هطول المطر على سقف الدار تشبه الى حد بعيد أصوات طلقات المدافع الرشاشة ووضعت أندريا يديها على أذنيها وهي تشاهد مياه السيول تندفع كالشلالات من بالوعة الشرفة، ولم تسمع أندريا الطرق على باب الغرفة حتى ربت جيمس بيده على كتفيها، وادركت ساعتها أنها ليست بمفردها في الغرفة، وسألها:

"هل أنت بخير ؟"

وأومأت أندريا برأسها ونظرجيمس في ساعته، وأوضح لها أن هذه السيول لن تستمر طويلا ٠

ولم تدم السيول فعلا لفترة طويلة، وتباعدت طلقات الرعد وفجأة توقفت الامطار، وخمد الضجيج وقالت أندريا:

"أحمد الله على أنها لم تمطر بمثل هذه الغزارة في الادغال، أشكرك لمجيئك، الواقع أنني كنت مندهشة أكثر مني منزعجة٠"

"ظننت أنك نائمة، وربما يرهق أعصابك أن تشعري فجأة بأن سقف الدار سيتهاوى عليك وأنت نائمة٠"

ولاحظ جيمس أنها بدأت تحزم حقائبها استعداداً للرحيل، فقال لها:

"لا داعي للاستعجال في اعداد حقائبك، فسوف أمضي الليلة في بينانغ، ولذلك لن نرحل قبل يوم الخميس٠"

"أعتقد أنك ستعود اليوم٠"

"كلا٠٠ إننا لن نذهب الى هناك قبل موعد العشاء، ولا أرغب في العودة مساء، وسوف توفر لي أسرة كونداي سريراً، ثم أعود حوالي الساعة الثانية بعد الظهر٠"

"إنه لشيء مضحك، أنني أشعر كأنني قد أمضيت في الملايو شهورا وليس أسابيع، هل تذكر تلك الليلة الاولى في سنغفوره عندما وجهت الي اللوم لانني تجولت بمفردي في شوارعها ؟"

"نعم٠٠ أتذكر ذلك!"

قال هذه العبارة في شيء من الجفاء٠

وكانت أندريا تعرف ما تنوي أن تفعله، وأحست برعشة في داخلها، وواصلت حديثها قائلة:

"لم تكن بداية طيبة تماماً، أليس كذلك؟ كما أن الليلة التالية كانت أسوأ، لقد اعطتني احساسا بأنني لا أتجاوز الثانية عشرة من عمري٠"

ولم يعقب جيمس بكلمة واحدة على ما قالته، ووقف هناك يراقبها٠ كان تعبير وجهه غامضا٠ أثار حيرتها٠ ومرت لحظة ضعفت فيها إرادتها٠ ثم فكرت:

"حسنا أنني راحلة، فماذا ينفع ذلك؟"

وابتسمت أندريا وأردفت قائلة:

"إنني آسفة يا جيمس٠٠ آسفة لانني كنت بمثابة شوكة في جنبك منذ البداية٠"

قالت ذلك، ثم اقتربت منه خطوة، ووضعت يديها على كتفيه، بسرعة وطبعت قبلة على خده الأسمر٠

وفي اللحظة التي فعلت فيها ذلك، أحست مرة بهول ماحدث فيها٠٠ كيف يمكن أن تكشف عن عواطفها بهذه السذاجة وقبل أن تتمنى لو أن الارض ابتلعتها، وجدت نفسها بين ذراعيه في جو مشحون بالعاطفة٠٠ ومضت دقائق٠٠ ودقائق٠٠ قبل أن يرفع ذراعيه عنها، بعد أن قبلها قبلات حارة٠ وشعرت أندريا أن جو البرود والجمود الذي كان يبدو على جيمس لم يكن أعمق من لون بشرته الاسمر٠ وقال بهدوء:

"إنني لن اعتذر لك عما حدث لأنني أعتقد أنك رغبت في ذلك هل أشبعت فضولك الآن؟"

فقالت في همس:

"جيمس!"

وكان في ذلك الوقت يضم خصرها بين يديه، فرفع يديه وابتعد عنها وهو يقول:

"لقد حان وقت الغداء٠٠ وفي هذه الظروف أتصور أنك قد ترغبين في تناول طعامك هنا، وسوف أوضح للخادمة أنك تشعرين بصداع وستحضر لك صينية الأكل٠"

ثم انسل خارجاً من الغرفة٠

كانت أندريا راقدة في سريرها، عندما سمعت سيارة جيمس تنطلق، وأحست برعشة تسري في جسمها،

فدفنت وجهها في وسادتها، واستغرقت تفكر في هذه الحالة العاطفية الغامضة.

وبعد قليل سمعت صوت أقدام الدكتور باكستر قادمة عبر الدهليز الى غرفتها، وتظاهرت بالنوم وبعد أن نقل صينية الأكل التي لم تمسسها، انصرف وسمعته يطلب من الخادم عدم ازعاجها.

وفي حوالي الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر أثناء نوم كل من يعملون في الدار، اتصلت أندريا هاتفيا بمطار سنغافورة وعرفت أن هناك مقعدا خاليا على متن الطائرة المتجهة الى لندن ظهر اليوم التالي. وطلبت منهم حجز هذا المقعد لها، ثم اتصلت بمحطة السكك الحديدية في ايبوه، وعرفت أنه سيكون هناك قطار ليلي يمر بالمنطقة في التاسعة والنصف مساء، وأخيرا اتفقت مع سائق سيارة أجرة على الحضور الى الدار في السابعة لاصطحابها وكانت قد حزمت حقائبها، وارتدت ملابسها استعدادا للرحيل عندما حضر الدكتور باكستر.

وأوضحت له الترتيبات التي اتخذتها، ثم قالت:

"كما ترى لن يكون هناك مقعد آخر خاليا قبل أسبوع على الأقل، والواقع أنني لاأستطيع أن أثقل عليكم أكثر من ذلك.."

واختتمت كلامها وهي تدرك أنه سوف يغفر لها هذه الكذبة البيضاء إذا ما عرف السبب في ذلك. ولدهشتها وافق الدكتور باكستر على رحيلها المفاجيء بدون أي اعتراض.

"حسنا جدا يا عزيزتي إذا كنت متأكدة أنك قادرة على السفر وإن كنت لا أعرف إذا كان جيمس سوف يوافق على ذلك أم لا، ولكن من المؤكد أن السفر ليلا أقل ارهاقا من السفر أثناء النهار، وأستطيع القول أنك سوف تنامين طوال رحلة العودة.."

وكان في نبرات صوته مادفع أندريا الى أن تعرف أو تشك في أنه عرف شيئا مما حدث أكثر مما تصورت.. وقالت وهي مرتبكة:

"نعم إنني أتوقع ذلك، ليتني فقط استطيع التعبير عن شكري لك لما أبديته من كرم وعطف، صدقني إنني أقدر ذلك جيدا، إن أحدا في انكلترا لن يكون كريما في ضيافته مع غريب مثلما فعلتم معي، ولو عرفت كم سأكون عامل ازعاج لكم، لما أقدمت على القيام بالرحلة."

"أوه، غير معقول يا عزيزتي، أسعدنا جدا أن تكوني معنا."

قالها وهو يربت على كتفها، ثم أضاف قائلا:

"ولا تقلقي بالنسبة الي تكرار إصابتك بالحمى، أنها ليست كالملاريا كما تعلمين، وليست من النوع الذي يصيب المرء على فترات متقطعة."

وقبل أن ترحل ودعت أندريا الخادمة ووضعت في يدها حفنة من الدولارات. وعندما أدركت أنه من غير المناسب أن تقدم للدكتور باكستر أية نقود مقابل إقامتها وطعامها وضعت كل ما تبقى معها من عملة الملايو في مظروف وطلبت اليه أن يقدمها الى إرسالية جيش الخلاص.

ورات أندريا أن آداب المجاملة تحتم عليها أن تتجه الى مارغريت لتشكرها وتودعها رغم الاهانات التي وجهتها اليها في الليلة السابقة. وعندما اقتربت من غرفة مارغريت سمعت صوت حوار هادىء يدور بينها وبين والدها الدكتور باكستر كان يحاول أن يتعرف على أسباب ما حدث لها أثناء وجودها بمفردها مع أندريا وكان يقول لابنته في ذلك الوقت:

"أبديت ترحيبا بها عند وصولها مع رفاق رحلتها.. ما الذي دفعك الى تغيير موقفك منها؟"

"هذا صحيح.. ولكنني اكتشفت بعد فترة من الوقت انها تحاول الاساءة الي بطرق مختلفة.."

"الاساءة اليك؟ كيف؟ أن أحدا لم يلحظ ذلك أبدا. حتى الدكتور فرغسون لم يسبق له ان فاتحني بذلك."

"لن يفاتحك أبدا.. لانه شريك الى حد ما في المواجهة

التي حدثت بيننا."

"لا أفهم يا أبنتي شيئا مما تعنين.. هل كان فرغسون يقصد الاساءة اليك هو الآخر؟"

كان الدكتور باكستر يناقش ابنته في هدوء الطبيب المعالج. وكان يحاول أن يستشف منها الاسباب الحقيقية الخفية لاصابتها بهذا الانهيار المفاجيء.

وصمتت مارغريت بعض الوقت، ثم مضت قائلة:

"حاولت أندريا أن تسخر مني في مناسبات كثيرة وبطرق متعددة.. إنها تحاول دائما أن تبدو أمام فرغسون أكثر أناقة في مظهرها وأكثر رقة في حديثها."

"ولكنك لست أقل فتنة منها يا عزيزتي.. إنني اشعر أن اهتمام الدكتور فرغسون بك وتقديره لك لم يتأثرا بوجود أندريا بيننا."

"ربما، ولكنني لاحظت أنها تتابعه بنظراتها، وتحاول دائما اثبات قدرتها على اجتذاب اهتمامه وتحويل انتباهه عني."

واقترب الدكتور باكستر من ابنته ملاطفا، وهو يقول:

"يا عزيزتي.. إن الدكتور فرغسون صديق لنا جميعا، ولم يسبق له أن فاتحني في رغبته الزواج منك، كما أنني لم ألحظ في تصرفاته إزاءك ما يفصح عن هذه الرغبة."

"فرغسون هو الصديق الوحيد لنا هنا، وأنني أتطلع الى الارتباط به، وأخشى من منافسة أية امرأة أخرى لي للفوز به."

"ولكنك تصرفت بصورة غير متحضرة يا عزيزتي مع فتاة تنزل ضيفة عليك، واجب الضيافة يقتضي منك الآن أن تبادري الى توديعها قبل رحيلها. لقد وجهت اليها إهانات بالغة في بيتك هنا."

وكان رد فعل مارغريت لرجاء والدها، موجة اخرى من البكاء والعويل، فأخذها الدكتور باكستر بين ذراعيه

وحاول تهدئتها.

وأدركت أندريا الموقف تماما. إن ظهورها الآن أمام مارغريت سوف يزيد الأمور تعقيدا، من المستحسن أن تنسحب في هدوء دون أن يشعر أحد بذلك.

وألقت أندريا نظرة وداع على البيت الذي شهد مولد حبها الذي لم يكتمل للدكتور فرغسون. ثم وصلت سيارة الاجرة، وحان موعد رحيلها.

ووصل القطار الى سنغفورة في ساعة مبكرة جدا من الصباح وكانت هناك خمس ساعات متبقية قبل موعد قيام رحلة الطائرة، واستقلت أندريا سيارة أجرة، وذهبت الى الفندق الذي أقامت فيه هي ورفاقها في بداية الرحلة.

وهناك استأجرت غرفة اذ كانت تريد أن تأخذ حماما، وتستبدل ملابسها، وتتناول طعام افطارها. وتركت أندريا حاجياتها لدى الشخص المسؤول عن الأمتعة، وخرجت لتمضية بعض الوقت وراحت تتجول في الشوارع على غير هدى. وعندما عبرت أحد الشوارع الضيقة على مسافة بضع ياردات فقط من المكان الذي قابلت فيه جيمس فرغسون لأول مرة تذكرت قوله: أنني لن أفعل لوكنت مكانك.. ورغم أن سطح البحر كان يلمع في ضوء الشمس إلا أن أندريا كانت ترى بعين ذاكرتها رصيف الميناء كما كان عليه الحال في تلك الليلة منذ أسابيع مضت.. الأشكال مضاءة ليلا بأنوار خافتة، والجو معبق برائحة التوابل والزيوت.. ورجل طويل ذو عينين رماديتين يتطلع اليها..

وتضاعفت آلامها النفسية، وأصبحت غير قادرة على تحملها واندفعت الى سيارة تاكسي وطلبت الى سائقها أن يعيدها الى الفندق..

وكانت أتعس ساعة في رحلتها تلك الساعة الأخيرة التي أمضتها في المطار.. فقد تذكرت أن جيمس كان يتعين

عليه في وقت ما من مساء الليلة الماضية أن يتصل بالدكتور باكستر هاتفيا ليبلغه أنه ومارغريت وصلا سالمين الى بينانغ، وعندئذ لا بد أن يخبره الدكتور باكستر بأنها رحلت.

ورغم أنها كانت تشعر أن مثل هذه الأفكار تزيد من عذابها، إلا أنه لم يكن باستطاعتها أن تتخلى عن آخر أمل يائس لها، وهو أن تسمع في اللحظة الأخيرة صوتا صادرا من مكبر الصوت في المطار يعلن أن هناك مكالمة هاتفية عاجلة للآنسة أندريا فليمنغ.

إلا أن أحلامها لم تتحقق، وقبل دقائق من الظهيرة، صعدت أندريا الى متن الطائرة ولم تحاول بعد ذلك أن تنظر من النافذة وهي ترتفع الى السماء. وهكذا طويت صفحة من حياتها الى الابد.

تزوج بيتر فليمنغ من نينا شيروان في أول أيام شهر مارس / آذار ونظرا لأن العريس وشاهد العريس، واشبينة العروس كانوا جميعا معروفين لمشاهدي التلفزيون، تم عرض لقطات من حفل الزفاف وحفل الاستقبال في نهاية نشرة الأخبار مساء تلك الليلة. وقد شاهدتها أندريا وهي تستبدل ملابسها لتتناول العشاء في الخارج.

كانت أندريا تتطلع الى نفسها باعجاب على شاشة التلفزيون وهي تبدو مرحة مبتسمة طوال حفل الاستقبال، ثم انتهت نشرة الاخبار وأغلقت جهاز التلفزيون، وتوجهت الى غرفة نومها لترتدي فستانا أنيقا من الشيفون يناسب حفل العشاء. وعندما كانت تتأهب لوضع حذائها رن جرس الباب وكان الطارق جوي.. فرحبت به ودعته الى تناول شراب حتى تفرغ من ارتداء ملابسها.

قال:

"أعتقد أن العروسين وصلا الآن الى حيث سيمضيان شهر العسل.. رغم أنني لا أستسيغ قضاء مثل هذه

المناسبة السعيدة في سكوتلاندا وخاصة في مثل هذا الوقت من السنة."

وردت أندريا باقتضاب:

"ولا أنا.."

وكان بيتر قد قدم لها كما جرت العادة هدية غالية الثمن تعويضا عن تخليها عن نصيبها في الشقة.

وسألها جوي:

"متى تعتزمين الانتقال الى مسكنك الجديد؟"

"غدا صباحا.. وإلا فانه لن يكون هناك وقت كاف لأن ينتهي مهندسو الديكور من عملهم قبل عودة بيتر ونينا من اجازة شهر العسل، أرجو أن لم يكن هناك ما يشغلك الآن أن تساعدني على نقل حاجياتي الى مسكني الجديد."

فقال جوي على الفور:

"بالتأكيد.. أن ذلك يسعدني.."

كانت أندريا تشعر بالحيرة ترى هل أخطأت عندما وافقت على تناول العشاء معه الليلة، إنها المرة الأولى التي يلتقيان فيها على انفراد منذ عودتها الى انكلترا.. إلا أنه في الأسبوع الأخير كان يحاول دائما أن يعود الى طبيعته الأولى معها ولذلك كان من السخف أن ترفض دعوته..

وتناول الاثنان عشاءهما في ملهى جديد في سوهو ورغم أن ساحة الرقص كانت صغيرة ومزدحمة، إلا أنه لم يحاول الاقتراب منها.

ولاحظت أكثر من مرة أنه ينظر باعجاب وتقدير الى فتيات في الملهى، وعندما جاوزت الساعة الحادية عشرة بقليل، اقترح عليها العودة الى المنزل.

كانت أندريا تشعر بالبرد بعد أن خرجت من جو الملهى الحار، وارتجفت وهي تقول:

"يا له من طقس، أرجو أن يقبل علينا الربيع بسرعة."

"نعم إنها ليلة باردة، اعتقد أن نوبات المرض في الملايو أوهنت أجسامنا، نعد فلم نتحمل البرد هنا.."
وتوقفت السيارة أمام البيت وساعدها جوي على الخروج منها، وانتظرته أندريا الى أن أعطى السائق أجره، ثم تبعها وهي تصعد درجات السلم، وصوته من خلفها يقول:
"إن فنجان من القهوة سيكون مناسبا الآن.."
وأومأت اليه أندريا وسمحت له بالدخول، ولم تعد تعبأ بقشعريرة البرد التي تسري في جسمها ولكنها كانت تحس بالاكتئاب في أعماقها.
"عليك أن تجلس هنا حتى تدفأ."
وضغط جوي على زر لتشغيل مدفأة كهربائية، ثم توجه الى المطبخ. وعندما عاد اليها كانت قد خلعت معطفها، وجلست تتطلع الى لا شيء!
وقال لها:
"أضفت نقطة الشراب الى فنجان القهوة حتى تصبح كالقهوة الايرلندية، في أي موعد ترغبين أن أحضر اليك غدا؟ هل الساعة العاشرة وقت مبكر؟"
"كلا.. انه وقت ملائم جدا."
واشعل جوي سيكارته وقال فجأة:
"أندي.. ألا تعتقدين أنها قد تكون فكرة طيبة أن نتحدث عن تلك المسألة؟"
وحدقت فيه أندريا بذهول.. وقبل أن تتظاهر بأنها لم تفهم شيئا، أشار اليها قائلا:
"نعم، لاحظت أنك تحاولين التظاهر بأن ذلك لم يحدث أبدا. ولكن اخبريني يا أندي ما الذي حدث بينك وبين فرغسون؟"
وهزت كتفيها قائلة:
"ليس هناك شيء يستحق الذكر.. أعتقد أنه كان معجبا بي.. ولكن ذلك انتهى في وقته.. وربما يكون

مرتبطا بمارغريت."
"لا بد أنه فقد عقله!"
"ولم لا.. لعلها تناسبه تماما، انظر الى الساعة، لقد جاوزت الثانية عشرة، وعليك أن تعود الآن."
"حسنا.. لن أثير هذا الموضوع معك مرة أخرى، طاب مساؤك."
كانت أندريا تستيقظ كل صباح وهي تشعر بالضياع، والعزلة. وكثير ماتمضي الليل تتعذب بذكرها لتلك اللحظات مع جيمس، والمشاعر المكبوتة التي أثارها فيها.. وكانت تقول دائما لنفسها:
"ولكن هذا الوضع لايمكن أن يستمر الى الأبد.. لا يمكن.."
وبدأ جوي مرة أخرى محاولاته لاستمالتها بعد أن خلت له الساحة بغياب فرغسون. الا أنه في هذه المرة كان يبدو لطيفا رقيقا في معاملتها وكان يحس أنه بدأ يغزو قلبها شيئافشيئا، وكانت أندريا في حاجة فعلا الى هذه العاطفة لتستعيد توازنها بعد الهزة العنيفة التي أصابتها اثر رحيلها المفاجيء عن فرغسون. لم يعد أمام أندريا إلا أن تعيد التفكير في الموقف كله، وخيل اليها أن مارغريت لابد أن تكون قد فازت في الجولة الأخيرة. إن الظروف التي تمر بها الآن تدفعها الى اتخاذ خطوة حاسمة، لقد انفصل عنها شقيقها بعد زواجه من نينا، وضاعت كل آمالها.. إنها بحاجة الى من يعوضها عن كل ما ضاع منها إنها تبحث عن حب كبير فيه كل التعويض عن الماضي والحاضر، وفيه كل آمال المستقبل.
وفي اليوم التالي جلس جوي معها يشاركها الغداء بعد أن ساعدها في نقل حاجياتها الى شقتها الجديدة.
"الواقع أن هذا المكان ليس سيئا جدا.."
قالها وهو يتطلع الى السقف العالي من المبنى

الفيكتوري الضخم المطل على حديقة جميلة ذات سور كبير.

"ولكنني كنت أفضل حماما منفصلا خاصا بي، حتى أستطيع أن أجهزه حسبما أريد."

وبدأت أندريا تشرح لجوي كيف ستقوم بتركيب قواطع خشبية لتقسيم المكان الى ثلاث وحدات منفصلة، غرفة للجلوس، وأخرى للنوم وثالثة للمطبخ.

وقال جوي:

"أستطيع أن أساعدك إذا أردت.."

وعندما وجدها صامتة، استطرد في الحديث قائلا:

"ما رأيك في الذهاب الليلة لمشاهدة أحد الأفلام؟"

أجابته:

"ليس الليلة يا جوي.. فانني أريد إعادة ترتيب كل هذه الأشياء المبعثرة.."

وعندما تركها جوي وحدها بدأت تفكر، هل استأنف جوي طريقة حياته السابقة. أو أنه ما زال يريدها، وأنه يتظاهر هو فقط بأن ماحدث في الغابة كان مجرد حدث شاذ وعرضي؟ أنه لطيف جداً في بعض النواحي.. ليتني أستطيع أن أهتم به.. يا لها من حياة مضطربة.

وفي الساعة السابعة مساء أعدت أندريا لنفسها قدحا من الشاي. وجلست تتطلع حولها، وفجأة أحست بشيء من الكآبة عندما تذكرت أنها سوف تعيش وحدها هنا. وتصورت الليالي المنعزلة التي ستمضيها في رفقة أشباح الناس على شاشة التلفزيون..

كانت أندريا تعد سريرها وكانت تأمل أن تكون المياه ساخنة في غرفة الاستحمام عندما سمعت طرقا على الباب.. لم يكن باب الغرفة موصدا، ولم تكن تتوقع زيارة من أحد إلا من صاحبة الفندق، وأنتهت بسرعة من نشر الملاءة على سريرها. ثم قالت للطارق:

"ادخل."

كانت السماء تمطر في الخارج في هذا الوقت، ولذلك فان أول مالفت نظرها عندما اتجهت بنظرها الى باب الغرفة آثار المطر على صدر معطف جيمس.. وهو يقف عند الباب ينظر اليها. لم تكن أندريا قد رأته من قبل مرتديا ملابس الشتاء. وبدا مختلفا عن صورته في ذاكرتها، وفي بادىء الأمر اعتقدت أنها أصيبت بنوع من الهلوسة.

وأخذ يتطلع في أنحاء الغرفة ثم أغلق الباب خلفه.

وقال في هدوء:

"مرحبا أندريا.."

وكانت الصدمة التي أصابتها عند رؤيته شديدة لدرجة أنها لم تستطع الرد عليه، أحست وكأنها أصيبت بالشلل والخرس.

واستطرد قائلا:

"حصلت على عنوانك من شقة شقيقك."

واخرج جيمس منديلا ومسح به رذاذ المطر عن وجهه، ثم قال:

"هل أستطيع أن أخلع معطفي؟"

وبدأت أندريا تسترد وعيها مرة أخرى وتمتمت قائلة:

"نعم.. نعم.. بالطبع!"

وخلع معطفه وتطلع في انحاء الغرفة ليجد مكانا يعلقه فيه، ثم وضعه على مشجب وراء الباب.

ومضى يقول:

"أعتقد أنك انتقلت الى هنا منذ فترة قصيرة."

"نعم.. صباح اليوم.. ما الذي جاء بك الى لندن الآن؟"

"إنني في زيارة عابرة.. فرغت من مهمتي في الملايو. وسوف أتوجه بعد ذلك الى البرازيل لأقضي هناك عامين."

"أوه.. فهمت.." وسادت فترة من الصمت، بينما كان كل منهما يتطلع الى الآخر. وكان الصوت الوحيد المسموع

هو صوت رذاذ المطر على زجاج النافذة.

"هل ترغب في فنجان قهوة، إنني آسفة، فالمكان كما ترى لم يتم ترتيبه بعد.. إنه يبدو أفضل أثناء النهار وهناك أيضا منظر جميل، فانا اعتبر نفسي محظوظة بالحصول على هذا المسكن."

وفجأة بدأت الكلمات تتدفق من فمها، ولكنها فكرت وتراجعت. وقالت لنفسها: "لاتجعليه يعرف شيئا، أو يفهم شيئا!" واستدارت واتجهت مسرعة ناحية الموقد، وهي تقول:

"سأصنع الشاي فورا."

الا أن يديها كانتا ترتجفان من هول المفاجأة لدرجة أنها لم تستطع أن تخرج عود الثقاب من العلبة وتشعله. وظلت واقفة في مكانها وسمعت جيمس من خلفها يقول بوضوح:

"إنني أحبك."

وسقطت علبة الكبريت من يدها، وتبعثرت أعواد الثقاب على الأرض. وأحست بيدي جيمس على كتفيها، قويتين دافئتين، وجعلها تستدير لتواجهه. وأمسك بذقنها حتى لا تتحول بعينيها عنه، ثم قال:

"إنني أحبك يا أندريا."

قالها مرة أخرى، وكانت عيناه ونبرات صوته مشحونة بالدفء والعاطفة على نحو لا يصدق وهالها ما أحست به من سعادة - فمسحت أنفها. وتمالكت نفسها مرة أخرى وقالت وهي تتعلثم.

"إنني آسفة.. إنني لا.. أقصد أنها كانت مجرد... أوه يا جيمس."

وقال جيمس بهدوء:

"أرجوك يا عزيزتي لا تبكي مرة أخرى، تعالي واجلسي، واهدئي واشربي هذا الكوب وسوف تشعرين أنك أفضل الآن."

وعندما استعادت بعض هدوئها، أخذ يديها بين يديه الدافئتين وقال:

"هل تتزوجينني يا أندريا وترافقينني الى البرازيل؟"

"أنت تعرف، أنني أوافق.. وضغط على يديها وأحست أنه لم يكن واثقا من ردها."

وقال هامسا:

"يا آلهي.. كيف مضت تلك الاسابيع؟"

"ولكن لماذا؟ لماذا لم تقل لي ذلك في الملايو؟ في ذلك اليوم الأخير المحزن.. إنني لا أفهم.. لقد قلت.."

وتوقفت بعد أن ترك يديها، ونهض واقفا فجأة.. ووضع يده في جيبه وقال:

"أنا أعرف أنني كنت قاسيا معك، أليس كذلك.. ولكنني اعتقدت أنني أفعل الشيء المناسب."

وصمت برهة، بينما قالت له:

"من فضلك يا جيمس لا تبتعد عني.. إنني لا أصدق حتى الآن أنك معي هنا."

وابتسم جيمس وقال بعد لحظة:

"أحسست أننا نتبادل الاعجاب.. وكنت أفكر طوال الوقت في لقائنا الأول في سنغفوره.. عندما كنت ترتدين ذلك الفستان.."

"أعتقد أنك تعترض على ذلك الفستان.. تصورت ذلك من نظراتك."

ولاحت علامات المرح على وجهه، ثم أضاف قائلا في جدية:

"ولكن الى جانب هذا الرداء الأنيق، فلقد كانت هناك ثقافتك، وعملك."

"لو عرفت أنني أحببتك."

"الحب وحده لا يكفي يا أندريا أنني أحبك كثيرا ولكنني لا أستطيع أن أتخلى عن عملي حتى من أجلك، وإذا جئت

معي ستجدين أن هناك أشياء كثيرة لا بد أن تضحي بها٠"
"حسنا، كما ترى فهذه ليست شقة فاخرة، يعني لن أقدم تضحية كبيرة٠"
"إنها في أية حال أفضل من الغابة٠"
واقتربت أندريا منه وتساءلت في رقة:
"هل هذا هو جيمس فعلا؟ إذا لم تأخذني معك، فما الذي يمكن أن أفعله هنا٠٠ فانا لا أحب سواك!"
وامسك بيدها قائلا:
"هل أنت واثقة ومتأكدة يا أندريا؟"
وأجابت عن سؤاله بسؤال وقالت:
"كم لدينا من الوقت قبل أن نتوجه الى البرازيل؟"
"نحو ثلاثة أسابيع، هل ترغبين في حفل زواج رسمي، أو أن نكتفي بتوقيع عقد الزواج المدني؟"
"أعتقد أن عقد الزواج المدني هو الأفضل٠"
ثم أردفت متسائلة وهي غارقة في أحلامها:
"أليس باستطاعتي أن أحصل على رداء أبيض للزفاف في هذه الحالة؟"
فابتسم قائلا:
"ستحصلين على أي شيء تريدينه يا عزيزتي!"
وعندما فرغت من اعداد فنجاني قهوة لهما، سألته:
"متى عرفت أنني معجبة بك؟"
"كان ذلك يوم ذهبنا معا الى حمام السباحة في سونغي موسانغ٠ عندما أخرجتك من الماء، كانت نبضات قلبك تدق بسرعة٠"
"غير معقول٠ كنت أكرهك في ذلك الوقت٠"
"هل كنت تكرهينني يا حبيبتي؟"
وتراجعت أندريا قائلة:
"ربما لم أكن أكرهك!

وضحك جيمس وتذكرت أندريا فجأة كم كان نادرا أن تراه مبتسما من قبل الا مع أفراد قبيلتي التيمار والزنوج٠
وتساءلت أندريا:
"وماذا عنك؟"
قال باسماً:
"توقعت منك هذا السؤال٠ وتظاهر بأنه يعبس ويفكر في جواب٠"
وصاحت:
"أوه جيمس، أرجوك لا تجعلني أفقد عقلي٠"
"ليلة رحلت الى بينانغ وسألتني إذا كنت مازلت اذكر عندما قابلتك لأول مرة٠٠ إنني أذكرها فعلا جيدا٠٠ إن أكثر ما أذكره هو أنك طلبت مني أن أتركك وحدك٠٠ وعبرت الميدان متجهة الى الفندق وتبعتك ووقتها عرفت أنني أحبك٠"
"لكن كيف ذلك٠٠ كنت وقحة معك٠"
"حسنا٠٠ لا بد أنني وجدت وقتها سببا لتعقبك داخل الفندق، فبحثت عن اسمك، وعن الفترة التي ستبقينها هناك٠"
"هل صحيح فعلت ذلك، لعل هذا هو السبب في أنك لم تفاجأ عندما قابلتني فعلا بعدها، ولكن إذا كنت مهتما بي فلماذا كنت مصمما على عدم مرافقتي الى الغابة؟"
"للأسباب التي ذكرتها٠٠ اعتقدت باخلاص أنك لن تقوي على هذه الرحلة٠"
وقالت وهي تعترف له:
"ربما لم أكن لأفعل ذلك إذا لم أكن مصممة وقتها على أن أثبت خطأك وهل تعرف السبب الحقيقي في أنني لم أقل لك أنني أشعر بالمرض؟"
"كنت خائفة وأخشى أن أهذي بكلمات تكشف عن مدى حبي لك؟"
وبعد فترة من الوقت قالت له أندريا:

"يجب أن تنصرف يا جيمس، فلربما تحضر الآن صاحبة البيت وقد تنفجر غاضبة."

"وهل هذا يهم. إنك لن تبقي هنا في أية حال.. حسنا.. سأرحل الآن.. لا تقلقي."

وسألته وهو يرتدي سترته:

"أين تقيم؟"

"في فندق صغير، هل أحضر لتناول الافطار معك؟ لدينا الكثير نفعله غدا، ياترى ماذا سيكون رد فعل شقيقك عندما يعرف أنني سآخذك معي؟"

"لا أعتقد انه سيعترض بشدة على ذلك، فلست عضوا أساسيا في فريق العمل، وربما تأخذ نينا مكاني."

"هل مازلت تقابلين رامزي؟"

"نعم.. إلا انه لم يكن هناك أي سبب حقيقي لأن تكرهه."

"لم أكرهه.. ولكني أردت أن أحطم أسنانه."

"وماذا عن علاقتك بمارغريت باكستر؟"

"كان الوضع حرجا يتطلب منتهى الحذر.."

"إنك تعرف مشاعرها نحوك."

"إنني أعرف أنها كانت تريد زوجاً، وكنت أنا الشخص الوحيد الذي يصلح لذلك أمامها، وكانت المشكلة أنني كنت على علاقة طيبة جدا مع والدها ولم أدرك أنها كانت تعاني من مرض عصبي رغم مظهرها الخارجي الهادئ، ما حدث حقيقة كان انفجارا عاطفيا من جانبها."

"اتهمتني بأنني أخطط للفوز بك، وطلبت مني أن أترك المنزل فورا."

"تصورت ذلك وفي أية حال التقت الآن بشخص يناسبها تماما في بينانغ."

ونظر الى ساعته، وقال:

"الوقت لا يزال مبكرا، الساعة التاسعة فقط، هل هناك

مكان قريب نتناول فيه وجبة طعام؟"

"هناك مطعم إيطالي متواضع على مسافة خمس دقائق سيرا على الاقدام."

"حسناً، فلنتوجه إلى هناك لنأكل سباغيتي."

وقال جيمس ملاحظا:

"أليس الأفضل أن تغيري هذا الحذاء الخفيف. الأرض مبتلة في الخارج. إنني ألحظ أنك مازلت نحيفة، ويتعين علي أن أطعمك حتى تسمني، ومن الآن يا آنسة فليمنغ، سوف أرعاك جيدا."

وأطفأ الأنوار، وأغلقا الباب، ونزلا الى الشارع، وكانت الليلة باردة، بدون نجوم، ومع ذلك شعرت أندريا كأن الهواء الرطب يحمل بين طياته نسمات الربيع الأولى.

ووضعت يدها في يد جيمس وقالت:

"كنت أتوق دائما للسفر الى البرازيل، هل ستكون لدينا فرصة لزيارة ريو دي جانيرو؟"

"لا أرى مانعا.. ونستطيع أن نمضي جانبا من شهر العسل هناك إذا شئت."

وابتسمت أندريا.. الملايو... البرازيل... بورما... أي مكان يذهب اليه جيمس هو المكان الذي تحب أن تكون فيه.